الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الوادي

كلية: الآداب واللغات.

قسم: اللغة العربية وآدابها.

مظاهر الاتساق والانسجام في خطبة حجة الوداع

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الليسانس ضمن نظام (ل م د) في اللغة العربية وآدابها.

إعداد الطالبات:

أحلام خشيبـــة

فطيمة صوري

يمينـة بالـــــي

تحت إشراف:

أ/علي حلواجي

السنة الجامعية: 1434هـ/1435هـ - 2013م/2014م.

بسم الله الرحمن الرحيم

أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ

﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ
وَالْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ التوبة: ١٠٥

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم والمعرفة وأعاننا على

أداء هذا الواجب ووفقنا إلى انجاز هذا العمل

نتوجه بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من ساعدنا من قريب أو من بعيد

على انجاز هذا العمل وفي تذليل ما واجهناه من صعوبات،

ونخص بالذكر الأستاذ المشرف : "علي حلواجي " الذي لم يبخل علينا

بتوجيهاته ونصائحه القيمة التي كانت عونا لنا في إتمام هذا البحث.

ولا يفوتنا أن نشكر كل موظفي الادارة والمكتبة،

فقد كان لهم الفضل الكبير في ارشادنا وتزويدنا بالمراجع القيّمة

كما نتقدم بالشكر إلى عمال مكتبة "بن عيشة "

ونخص بالذكر الاخوة ألكرام "داودي نور الدين وسعداني محمد"

على كتابة وطباعة هذه المذكرة

-حفظهم الله وأدامهم إلي أهلهم-

وفي الأخير ما يسعنا سوى الرجاء أن تكون هذه ثمرة جهد ينتفع بها

من هم بعدنا بالخير إن شاء الله

وشكرا .

مقدمة

مقدمة

إن اللغة المنطوقة أو المكتوبة من أهم وسائل الاتصال والتواصل بين البشر وقد كانت مدار اهتمام منذ قرون كثيرة ولهذا ظهرت عدة مدارس من خلال فترات زمنية كان من أحدثها المدرسة النصية، من خلال انصباب اهتمامها على الجملة بوصفها الوحدة اللغوية الكبرى، حيث لا يمكن دراستها منفصلة عن سياقها اللغوي المتمثل في البنية اللغوية الكبرى ألا وهي النص.

ولكي يدرك هذا النص بوصفه وحدة متماسكة يؤدي معني دلالي معين، وقد احتاج هذا الكل الكبير "النص" إلى علاقات أو نظام يؤلف بين وحداته وأجزائه وتكون هذه العلاقات شكلية ودلالية وهذا ما نسميه بالتماسك النصي.

وقد جاء هذا البحث على الرغم من قلة أدواته المعرفية المعنون بمظاهر الاتساق والانسجام في خطبة حجة الوداع للنبي ﷺ نظرا لما تحمله هذه الخطبة من نصائح وتوجيهات، فللاتساق والانسجام دور هام في تشكيل النص وتماسكه. ولقد تضافرت جملة من الدوافع لاختيارنا هذا الموضوع أهمها:

1- اختيارنا لعنصر التماسك النصي كان نتيجة كونه محور الدراسات النصية والمدار الذي تدور في فلكه جل نظريات التحليل النصي، فعلى أساسه تبنى علاقة الكلمات بما جاورها وعلاقة الجملة مع الجمل الأخرى كي نصل في الأخير إلى بنية كلية وترابط وثيق على المستوي الشكلي من خلال الضمائر الموصولة والإشارية وعلاقات الاستبدال بين الكلمات أو الجمل وتكرار وحذف وغيره.

2-كون الجمل لا بد لها من معنى، فلو رتبت كلمات أو جمل ليس بينها ترابط لا تؤدي إلى معنى ما لم يكن في تلك الجمل اتساق فيما بينها.

فما هي مظاهر الاتساق والانسجام في خطبة حجة الوداع؟، وما دور هذه الآليات في تماسك النص الخطابي؟ وما مدى تماسك هذا النص؟.

وبما أن هذه الخطبة تعد من الأحاديث الشريفة التي هي مصدر من مصادر اللغة العربية مع القران الكريم والشعر القديم، فإن نتائج هذه الدراسة ستعطي نموذجا واضحا عن استعمال أدوات ووسائل التماسك النصي في اللغة العربية الفصحى في أكمل صورها.

وقد اتبعنا في ذلك الخطة التالية: التي قسمناها إلى مدخل وأربعة فصول، فخصصنا المدخل المعنون: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص، الذي تندرج تحته العناصر المتمثلة في: أولا: الجملة والنص، وقد قمنا بتعريف الجملة والنص وذكر أنواع الجملة وخصائص النص، أما ثانيا: فتطرقنا إلى لسانيات النص، من خلال مفهومها وهدفها، وثالثا: عالجنا الفرق بين لسانيات الجملة ولسانيات النص.

أما بالنسبة للفصول: تناولنا في الفصل الأول: بينا فيه الاتساق والانسجام مفهومهما وآلياتهما، حيث تم تخصيص المطلب الأول للحديث عن الاتساق، أما المطلب الثاني فهو بعنوان الانسجام، يليه الفصل الثاني الخطبة نشأتها وتطورها، حيث قمنا بتعريف الخطبة لغة واصطلاحا، ثم نشأتها وخصائصها وأنواعها، في حين تعرضنا في الفصل الثالث إلى خطابة النبي ﷺ. وتطرقنا إلى ملخص سيرته ﷺ وفصاحته وخطبه عليه الصلاة والسلام، وخصائص خطبة حجة الوداع الفنية والموضوعية، أما في الفصل الرابع والأخير: فقد بلورنا من خلاله أدوات الاتساق ووسائل الانسجام في خطبة حجة الوداع وكما استهلناه بذكر أدوات الاتساق في الخطبة نفسها، ثم انتقلنا إلى ذكر وسائل

الانسجام في تعريض دراستنا دراسة نظرية وإسقاطها على خطبة حجة الوداع محل الدراسة مع الإشارة دائما إلى نتائج هذه الدراسة. لنختم بخاتمة مُحَوْصِلَة لأهم النتائج.

أما المنهج المتبع في هذا البحث هو المنهج الوصفي التحليلي، فالأول يبدو جليا من خلال التعريفات والأنواع والخصائص، في حين تجسد الثاني في عملية تحليل الخطبة والتفسير. ولم تقم دعائم هذا البحث إلا بالاعتماد على مجموعة من المراجع والمصادر المتنوعة أهمها: احمد مداس: لسانيات النص نحو منهج التحليل الخطاب الشعري، -وأحمد عفيفي: نحو النص، - وجمال الدين محمد مكرم الأنصاري ابن منظور: لسان العرب، أيضا –أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، - ومحمد خطابي: لسانيات النص، و صبحي إبراهيم الفقي: علم اللغة النصي.

وكما هو معلوم أن لكل بحث لا بد من صعوبات تعوقه، والتي بها تكون قيمة البحث. وأهم صعوبات هذا البحث كانت:

افتقار مكتبتنا لأشهر الكتب في الخطابة، هذا إلى جانب اتساع الموضوع وتشعبه، وتضارب الآراء حوله، وصعوبة إسقاط بعض وسائل الاتساق والانسجام على الخطبة، كل هذا إلا أن عزمنا كان فوق كل ذلك، من خلال إصرارنا على الخوض في الموضوع، وإخراجه على الوجه الأفضل.

وما بقي لنا في هذا المقام إلا أن نتقدم بعظيم الشكر للأستاذ المشرف على التوجيه والتشجيع على فكرة البحث في أول الأمر، مع رجائنا أن يكون هذا البحث في المستوى المطلوب.

وإن أصبنا فلنا أجران وإن أخطانا فلنا أجر المحاولة.

المدخل

المدخل

من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص:

التمهيد:

1- الجملة والنص.

1.1- الجملة.

1.1.1- مفهومها.

2.1.1- أنواعهـا.

2.1- النص.

1.2.1- مفهومه.

2.2.1- خصائصه (المعايير النصية).

2- لسانيات النص:

1.2- مفهومهـا.

2.2- هدفهـــا.

3- الفرق بين لسانيات الجملة ولسانيات النص.

.التمهيد:

لقد وقفت الدراسات اللسانية القديمة عند حدود الجملة باعتبارها الوحدة الكبرى في التحليل اللساني، وبعدها ظهر جيل آخر ويتبين أنه يمكن تجاوز حدود البنية اللغوية الصغرى-الجملة-إلى بنية لغوية أكبر منها:

لسانيات النص، تحليل الخطاب والتي بدأت بوادر العلم الجديد تظهر من خلال جهود "زيليغ هاريس"، وذلك عندما أتم كتابه "تحليل الخطاب" سنة 1952م.

فظهرت لسانيات النص على أنقاض لسانيات الجملة لسد ثغرات النص وتكمل نقائصها وتفيد اللغة بتماسكها.

1- الجملة والنص:

1.1- الجملة:

1.1.1- مفهومها:

قبل النظر في أسباب التحول إلى لسانيات النص يحسن بنا الوقوف عند حد الجملة باعتبارها معتمدة من قبل الدراسات اللغوية منذ نشأتها، واستقل المفهوم بشكل حاسم على يد:

جمال الدين بن هشام الأنصاري (ت761هـ):

الذي رأى أن الكلام هو: «القول المفيد بالقصد والجملة هي الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر وما كان وبمنزلتهما»[1]، والمراد بالمفيد ما دل على معنى يستقل بذاته، وأن «الجملة» هي عبارة عن الفعل والفاعل، مثل (أقام زيد) والمبتدأ والخبر (أزيد قائم؟) وهذا التعريف يبين لنا أن الجملة حصرت في جانب النحو فقط.

2.1.1- أنواعها:

أ- تقسم حسب الأزهر الزناد إلى:

جملة نظام:

وهو شكل الجملة المجردة، الذي يولد جميع الأشكال الممكنة وهو ما اتكأ عليه "تشومسكي" في المدرسة التوليدية التحويلية[2].

---

[1] الأنصاري، ابن هشام: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1996م، ص137.

[2] الزناد، الأزهر: نسيج النص "بحث فيما يكون فيه الملفوظ نصا "المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط1، 1993م، ص14.

جملة نصية:

وهي الجملة المنجزة فعلا في المقام تعطي دلالتها من خلال الاتساق والانسجام[1].

وواضح من خلال هذا التقسيم أن الأزهر الزناد فرق بين هذين النوعين بإضافة عنصر المقام الذي شرط الجملة النصية، وهو عنصر أساسي تقوم عليه اللسانيات النصية.

ب– أما جون ليونز فقد قسمها إلى نوعين:

جملة نصية:

وهي التي تستقل في دلالتها داخل النص.

جملة غير نصية:

وهي عبارة عن جزء من أجزاء الجملة، فالحكم عليها بأنها جملة نصية يوجد حينما تعطي دلالة ما، كأنها نص أو إشارة إلى نص مثل: «أنا لم أر ماري»[2].

[1] المرجع السابق: ص14.

[2] عفيفي، أحمد: نحو النص، اتجاه جديد في الدرس النحوي، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م ص20.

2.1- النص:

1.2.1- مفهومه:

أ- لغة:

إذا عدنا إلى المعاجم العربية، فإننا نجد لمادة (نصص) عدة معان منها:

ورد في لسان العرب لابن منظور (ت 711هـ) تحت مادة (ن، ص، ص): النص: رفعك للشيء. نص الحديث ينصه نصا: رفعه، وكل ما ظهر قد نص ووضع على المنصة، أي على غاية الفضيحة والشهرة والظهور والمنصة: ما تظهر عليه العروس لترى وقد نصها وانتَصَت هي[1].

"ورد في مختار الصحاح للرازي (ت: بعد 666هـ) تحت مادة (ن، ص، ص): في حديث على ﷺ«إذا بَلَغ النساء نص الحقاق» يعني منتهي بلوغ العقل وأقصاه، نصَصَ الشيء إذا حركه. وفي حديث أبي بكر ﷺ عنه حين دخل عليه عمر ﷺ وهو يُنَصِصُ لسانه، ويقول هذا أوردني الموارد[2].

لعل أبرز ما نتبينه من خلال القراءة السريعة للمعاني المعجمية لمادة (نص) ما يلي:

*الرفع: أي رفع الكلام ليدركه القارئ.

*الحركة: من أهم صفات النص الأدبي فهو حوار بالدلالة.

*الإظهار: فيه معنى الانجاز والتمام، فإذا كانت العروس تنص في أجمل حلة فكذلك النص.

*ضم الشيء إلى الشيء: ضم الجملة إلى الجملة بروابط.

* أقصى الشيء ومنتهاه: أي أكبر وحدة لغوية يمكن الوصول إليها.

---

[1] ابن منظور: لسان العرب المحيط إعداد وتصنيف: يوسف الخياط، دراسات لسان العرب، بيروت- لبنان، ج3، ص28.

[2] الرازي: مختار الصحاح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1999م، ص382.

– أما النص في المعجم الفرنسي"text" فهو مأخوذ من "textus" اللاتينية والتي تعني النسيج كما تطلق على الكتاب المقدس[1]، فهي تدل دلالة صريحة على الترابط بين أجزاء النص وتلاحمه، كما تؤشر إلى علاقات الترابط من خلال حبك أجزاء الحكاية.

ب– اصطلاحا:

النص في الدراسة الغربية:

*عند يلمسليف:

استعمل مصطلح النص بمعني واسع فيطلق على أي ملفوظ منفذ حديث أو قديم مكتوب أو محكي طويل أو قصير...الخ[2].

–فأي نص توفرت فيه المعايير النصية عند يلمسليف هو نص بغض النظر عن طوله أو قصره أو حداثته أو قدمه.

*عند رولان بارت (ت: 1980م):

كلمة نص عنده تعني النسيج، تنفك الذات وسط هذا النسيج وكأنها ضائعة فيه، كأنها عنكبوت، ولو أجبنا استحداث الألفاظ لأمكننا تعريف نظرية النص بـ:

"علم نسيج العنكبوت"[3]، فقد شبه النص بنسج العنكبوت المترابطة فيما بينها ولا علاقة للمؤلف بها.

[1] مرتاض، عبد المالك: في نظرية النص، مجلة المجاهد، فصول الهيئة المصرية العامة، م10 ع6، 2006م، ص57.

[2] جميل، عبد المجيد: البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (د.ط)، 1998م، ص69.

[3] بارت، رولان: لذة النص، تر: فؤاد صفاء الحسين سحبان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء– المغرب، ط2،2001م، ص62.

*عند جوليا كريستيفا (مولودة 1941م):

تقول "هو جهاز غير لساني يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية مشيرا إلى بيانات مباشرة، تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة المتزامنة معها "[1].

إذن: فالنص يمكن إعادة توزيعه عن طريق التفكيك والبناء.

كما يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى أي:"التناص".

"فالنص حسب كريستيفا وبارت هو إنتاجية دلالية تحقق انسجام النص وتماسكه"[2].

فالنص إذن هو مختلف الأجناس الأدبية قد يكون شعراً أو نثراً، تحتاج إلى مرجعية ثقافية لتفهم.

2.2.1- خصائصه(المعايير النصية):

تطلق النصية على النص إذا توفرت فيه العناصر الآتية:

أ- الاتساق (السبك، التضام):

وهو يشمل الإجراءات المستعملة في توفير الترابط بين عناصر ظاهر النص كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وحروف العطف.

ب- الانسجام (الحبك، الالتحام):

وهو يشمل على الإجراءات المستعملة في إثارة عناصر المعرفة من مفاهيم وعلاقات، منطقية

1 كريستيفيا، جوليا: علم النص، تر: فؤاد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط2، 2001م، ص62.
2 فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، (د.ط)، 1990م، ص21.

كالسببية ومنها معرفة كيفية تنظيم الحوادث، ومنها أيضا محاولة توفير الاستمرارية في الخبرة البشرية[1].

جـ- القصدية:

وتعني التعبير عن هدف النص أو تضمن موقف منشئ النص واعتقاده أن مجموعة الصور والأحداث اللغوية التي قصد بها أن تكون نصا يتمتع بالسبك والحبك.

د- المقبولية:

ترتبط بالمتلقي وحكمه على النص بالقبول والتماسك أو تتضمن موقف مستقبل النص؛ فالمقبولية نص ذو سبك والتحام[2].

هـ- الإخبارية:

وهي تشمل على عامل الجدة (اللايقين النسبي لوقائع النص بالمقارنة مع الوقائع الأخرى المحتملة الحدوث).

و- الموقفية:

وهي تشمل على العوامل التي تجعل النص ذا صلة بموقف حالي أو بموقف قابل للاسترجاع[3].

[1] أبو غزالة إلهام: أحمد على خليل: مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولف ريسلر، الهيئة المصرية العامة، ط2، 1999م، ص11.

[2] عفيفي، أحمد: نحو النص، ص79-90.

3 صلاح، فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص229.

ز- التناص:

وهو أن يمثل النص عملية استبدال من نصوص أخرى[1].

هذه العناصر بمثابة معايير رئيسية لتمييز النص عن اللانص.

2- لسانيات النص:

1.2- مفهومها:

تعد لسانيات النص فرعا من فروع اللسانيات يعني بدراسة مميزات النص من حيث حده وتماسكه ومحتواه الإبلاغي (التواصلي)[2] ،وقد وجدت مفاهيم عديدة لهذا الفرع أهمها:

*عند سعيد حسن بحيري: الذي سماها "نحو النص" فقال:

«نحو النص يراعي في وصفه وتحليلاته عناصر أخرى لم توضع في الاعتبار من قبل، ويلجأ في تفسيراته إلى قواعد دلالية ومنطقية إلى حوار القواعد التركيبية ويحاول أن يقدم صياغات كلية دقيقة للأبنية النصية وقواعد ترابطها، وبعبارة موجزة قد حددت للنص مهام بعينها لا يمكن أن ينجزها بدقة إذا التزم حد الجملة»[3].

1 محمد فكري الجزائري: لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة، إيتراك للطباعة والنشر، مصر الجديدة، ط1، 2001م، ص13.

2 مداس، أحمد: لسانيات النص نحو منهج التحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1،2007م، ص3.

3 بحيري، سعيد حسن: علم لغة النص(المفاهيم والاتجاهات)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط1، 2004م، ص119.

2.2– هدف لسانيات النص:

تهدف لسانيات النص إلى تحديد المعنى الكلي للنص وتحديد مجموعة القوانين الحاكمة لبنية المعنى تلك البنية التي تتجاوز الدلالات الجزئية فيه لأن التعامل معه يكون في صورته الكبرى أو البنية الشمولية.

ولذلك يري "سعيد بحيري" أنه ليس مجموعة من القواعد أو القيود الصارمة التي تطبق على النص بل أنه يعني مجموعة من القوانين الاختيارية التي استخلصت من النص ذاته، فليست هي بسلطة خارجية إجبارية يتحتم أن يخضع لها النص[1]، فهي تهدف إلى وصف العلاقات التي تنسج فيما بينها الملفوظ ومختلف العناصر المكونة لإطار التلفظ بصورة عامة، كون الموضوع تحده أبجديات الخطاب، ولا يتوقف الأمر على وصف علاقات ملفوظة وعناصر هذا الإطار، بل يرجع إليها التعريف والوصف وبنية مجموع الأفعال التلفظية الخطابية وعليه فإن هدف اللسانيات النصية عند آدم: «من أجل متابعة التحليل اللساني خارج إطار الجملة المركبة ونوع الجمل، وكما تبدو جد صعبة يجب قبول التموقع على حدود اللسانيات بهدف بلورة عدم تجانس كل تركيب نصي[2]، وبما أن نحو النص لا يعترف باستقلالية الجملة، ونظرا لقصور نحو الجملة وتضييق مساحة البحث فيه، اندفع البحث إلى النظر في النصوص فنحو النص إذن يدرس النص من حيث هو بنية مجردة تتولد بها جميع ما نسمعه ونطلق عليه لفظ (نص)، ويكون ذلك كما يقول "**الأزهر الزناد**": «برصد العناصر القارة في جميع النصوص المنجزة مهما كانت مقاماتها وتواريخها ومضامينها وهي في هذا كله تتقاطع في موضوعها مع جميع العلوم

[1] ينظر: عفيفي، أحمد: نحو النص، ص66.

[2] ينظر: مداس، أحمد: لسانيات النص، ص4.

المتعلقة بدراسة النص وتجمعها فتتجاوزها لأنها أقصاها تجريدا في ما تقيمه، فلا تهتم بالمضمون، وإنما تبحث فيما يكون به الملفوظ نصا»[1].

3-الفرق بين لسانيات الجملة ولسانيات النص:

يختلف النص عن الجملة في عدة مظاهر أساسية، تفسر عدم كفاية استيعاب مقومات بناء الجملة بخلق النصوص، في الكتابات الإنشائية مثلا.

ومن أهم هذه الاختلافات:

1-اعتبار النص بنية كلية بارتباطه ارتباطا وثيقا بتحليل الخطاب ووجود مذاهب نقدية جديدة ترتكز على النص، واعتبار الجملة جملة فرعية دفعت إلى تغير نصوص النحو من نحو الجملة إلى نحو النص.

2- كثير من الظواهر التركيبية لم تفسر في إطار الجملة تفسيرا كافيا مقنعا، ومن هنا فإن نحو النص يهتم في تحليلاته بضم عناصر جديدة لم تكن موجودة في نحو الجملة فهو يذهب في تحليله إلى قواعد جديدة ومنطقية ودلالية وتركيبية ليقدم شكلا جديد لتحليل بنية النص أو تصور معايير التماسك والترابط والانسجام[2].

3-تنتمي الجملة إلى نظام افتراضي (النحو) في حين يعتبر النص نظاما واقعيا تكون من خلال عمليات اتخاذ القرارات والانتخابات من بين مختلف خيارات الأنظمة الافتراضية.

4-تكون الجملة قواعدية أو لا تكون جملة البتة، أما النص فلا تنطبق عليه معايير النصية بمثل هذه الحدة.

---

[1] ينظر: الزناد، الأزهر: نسيج النص، ص18.

[2] ينظر: عفيفي، أحمد: نحو النص، ص63-64.

5- يتأثر النص بالأعراف الاجتماعية والعوامل النفسية وموقف وقوف النص بوجه خاص في حين يضعف تأثر الجملة بهذه المؤثرات.

6- تتخذ الجملة شكلها المعين وفقا لبارا مترات محددة القيم في حين تتشكل بنية النص بحسب ضوابط المشاركين والمستقبلين عن حد سواء[1].

إذا تأملنا هذه الفروق يتضح لنا أنها تركزت على الشكل والمضمون من ناحية وعلى الظروف المحيطة ب: (النص-الجملة) من ناحية أخرى ونلمس ذلك من خلال التأثر أو عدم التأثر.

و بناء على أن الخطبة نص والنص بطبيعة الحال يحتاج إلى روابط وأسس تربطه فيما بينه مما يحقق الانسجام والاتساق ومن ثم التماسك، فمن خلال خُطبة حجة الوداع التي سنبحث عن أدوات ووسائل هذين العنصرين من معايير النصية سيتبين مدى دورهما في تحقيق التماسك الخطاب

[1] أبو غزالة إلهام ، أحمد على خليل: مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبيرت دي بوجراند وولف ريسلر)، ص10-11.

الفصل الأول

الاتساق والانسجام: مفهومهما وآليتهما

تمهيد:

يحتل اتساق النص وانسجامه موقعا مهما في الأبحاث والدراسات التي تندرج في مجالات تحليل الخطاب، ولسانيات النص حتى أننا لا نكاد نجد مؤلفا ينتمي إلى هذه المجالات خاليا من هذين المفهومين أو من المفاهيم المرتبطة بهما كالترابط والتعالق وما شاكلهما، فهما ركيزتا النص أو الخطاب وبدونهما لا تقوم نصية النص.

المطلب الأول: الاتساق:

1- مفهومه:

1.1- لغة: عند الفيروز آبادي (ت 817هـ) في القاموس المحيط يقول: (وَسَقَهُ يُسِقَهُ جَمَعَهُ وحَمَلَهُ ومنه: (وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ) وطرده ومنه الوَسِيقَة وهي من الإبل كالرفقة من الناس فإذا سرقت طردت منها والناقة حملت وأغلقت على الماء رحمها فهي وَاسِق، واسْتَوْسَقَت الإبل اجتمعت، واتَّسَق انتَظَمَ والميسَاق الطائر يصفق بجناحيه إذا طار)[1]، والطائر إذا طار وكان مصفقا بجناحيه، كان في ذلك اتساق كبير وانتظام ظاهر، كما يقول السيوطي (ت911هـ): (اتسق القمر إذا تم وامتلأ ليلة أربع عشرة، ووزن اتسق افتعل، وهو مشتق من الوَسَقِ ويقال اتَّسَقَ استوى)[2].

[1] الفيروز آبادي: أبو الطاهر مجد الدين بن يعقوب بن محمد بن إبراهيم الشيرازي، القاموس المحيط، مادة (و س ق)، ص289.

[2] السيوطى جمال الدين: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق على محمد النجاوي، مصر، دار الفكر العرب، (د.ط)، 1973م، ص570.

ومما سبق نلاحظ أن المعنى الذي يكاد يتكرر حول الجذر (و س ق): هو الاجتماع والانتظام والاكتمال، وهذا لا يبعد أبدا عن المعنى الذي يدور الآن في كتب الاختصاص في لسانيات النص.

2.1- اصطلاحا:

مصطلح الاتساق في العربية يقابله في اللغة الفرنسية (من لغات الغرب): (cohésion)، وتعددت المفاهيم والتعريفات حول مصطلح الاتساق الذي يساوى عند بعض الدارسين ذلك التماسك وكل واحد منهم نظر إلى مفهوم الاتساق من زاوية معينة.

-إذ ذهب د/صبحي إبراهيم الفقي إلى القول أن الاتساق أو التماسك النصي يعني (العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية، وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية أخرى ومن بين هذه الأدوات: المرجعية)[1].

أما محمد خطابي فيعرفه بقوله: "يقصد عادة بالاتساق ذلك التماسك الشديد بين الأجزاء المشكلة لنص أو خطاب ما، ويهتم فيه بالوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب أو خطاب برمته، ومن أجل وصف اتساق الخطاب أو النص يسلك المحلل الواصف طريقة خطية متدرجا من بداية الخطاب حتى نهايته"[2].

[1] الفقي صبحي إبراهيم: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، ج1، (د.ت)، ص335.

[2] ينظر: خطابي، محمد: لسانيات النص، مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991م، ص5.

2- آليات الاتساق:

1.2- الإحالة:

1.1.2- مفهومها: تناول علماء النص الإحالة كوسيلة من وسائل الربط اللفظي؛ "ونعني مقابلها في اللغات الغربية "reference"[1].

والإحالة أو الربط الضميري يعد أحد أهم الخصائص التوزيعية للضمائر الانعكاسية في اللغة العربية[2]، وقد ظهرت بعدة مصطلحات منها: "الإحالة المتبادلة" عند جون بروان وجورج يول، "الصيغ الكنائية" عند دي بوجراند ريسلر.

ونوه اللغويون أن الإحالة"reference" من حيث أنها أداة كثيرة الشيوع والتداول في الربط بين الجمل والعبارات التي تتألف منها النصوص[3].

فالإحالة إذن هي العلاقة بين العبارات من جهة وبين الأشياء والمواقف في العالم الخارجي من جهة أخرى[4].

2-ب- أقسام الإحالة:

قسمت الإحالة إلى قسمين:

[1] الشاوش محمد: أصول تحليل الخطاب وعلم النص في النظرية النحوية العربية، ج1، ص125.

[2] البهنساوي، حسام: أنظمة الربط في العربية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2003م، ص74.

[3] خليل أحمد إبراهيم: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2007م، ص227.

[4] لحمادي، فطومة: مفهوم التماسك النصي، مجلة اللغة والأدب، جامعة خيضر، بسكرة، ع1، جوان2007م، ص118.

أ- إحالة خارج النص"Exophara":

وتسمي بالإحالة المقامية[1]؛ وهي الألفاظ التي بمقتضاها تحيل اللفظة المستعملة إلى الشيء الموجود في الخارج، بحيث تساهم في خلق النص باعتبارها تربط اللغة بسياق المقام[2]، ذلك أنها الإطار المرجعي الذي يؤلف مجموع الخبرات والمعارف التي تعمل على تشكيل النص[3].

خاصة وأن الإحالة تقوم على مبدأ تجاوز الذات من الداخل في حركة التفاتية لإنتاج سننه العلامية الخاصة بأن تتحول الدلالة الأولى، مؤشرات على الدلالة الثانية[4].

ب- إحالة داخل النص"Endophora":

وتسمي بالإحالة النصية (Textuel)، كما تسمي بالإحالة المقالية والمعرفية. فهي إحالة عنصر داخل النص[5].

أي أنها: "تركز على العلاقات اللغوية في النص ذاته، وقد تكون بين ضمير وكلمة أو عبارة وكلمة أو جملة وجملة أو فقرة وفقرة، وغيرها من الأنماط اللغوية".

وهي تنقسم بدورها إلى قسمين:

[1] عفيفي، أحمد: نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م ، ص117.
[2] خطابي، محمد: لسانيات النص، ص17.
[3] نواري سعودي أبو زيد: نحو مقاربة أسلوبية في الخطاب الشعري، الجزائر، ط1، 2009م، ص24.
[4] مباركي، جمال: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، (د.ط)، (د.ت)، ص125.
[5] الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب، ص125.

ب.1- إحالة قبلية "Anaphora":

أي استعمال كلمة أو عبارة تشير إلى كلمة أخرى أو عبارة سابقة في النص أو المحادثة وتعود على لفظ سبق التلفظ به.

كما تسمى أيضا إحالة بالعودة، وهي أكثر دَوَرانا في الكلام، لما لها من دور في تماسك النص[1].

ب.2- إحالة بعدية "Cataphora":

وتسمى إحالة على اللاحق، وهي تعود على عنصر إشاري مذكور بعدها في النص ولاحق عليها مثل: ضمير الشأن في العربية نحو قوله تعالى: «**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**»[2]، فالضمير "هو" يشير إلى لفظ الجلالة الله وغالب ما تقع الإحالة البعدية في الجمل التفسيرية التي تفسر جملة أو عبارة.

3.1.2- الوسائل الإحالية:

جاء تقسيم الباحثين "**هاليدي ورقية حسن**" كالتالي[3]:

1.3.1.2- إحالة شخصية "ضميرية" Personnel":

تنقسم إلى:

أ-ضمائر وجودية مثل: أنا، أنت، نحن، هو، هم ...الخ

ب-ضمائر ملكية مثل: كتابي، كتابك، ...الخ

[1] المرجع السابق: ص119.

[2] عفيفي، أحمد: نحو النص، ص118.

[3] الشاوش، محمد: أصول تحليل الخطاب، ج1، ص126.

2.3.1.2- أسماء الإشارة:

يذهب الباحثان إلى عدة إمكانيات لتصنيفها:

-الحياد أو الانتقاء: هذا، هؤلاء، ...الخ، المكان: هنا، هنالك...الخ[1].

3.3.1.2- إحالة مقارنية:

لها فرعان عامة وخاصة:

أ- عامة:

منها ثلاثة أنواع:

*التطابق: ذات، نفس، ...الخ.

*التشابه: مثل، مماثلة، كان ...الخ.

*الاختلاف: آخر، أخرى، ...الخ.

ب- خاصة:

الكمية: مثل: أكثر، أغزر، أقل ...الخ.

الكيفية: مثل: أجمل من، جميل مثل ...الخ[2].

[1] المرجع السابق: ص126.

[2] خطابي، محمد: لسانيات النص، ص16.

4.3.1.2- إحالة الاسم الموصول:

مثل: الذي، التي، ...الخ[1].

ويمكن الاستعانة بالشكل التوضيحي، كما جاء عند **هاليداي ورقية حسن**:

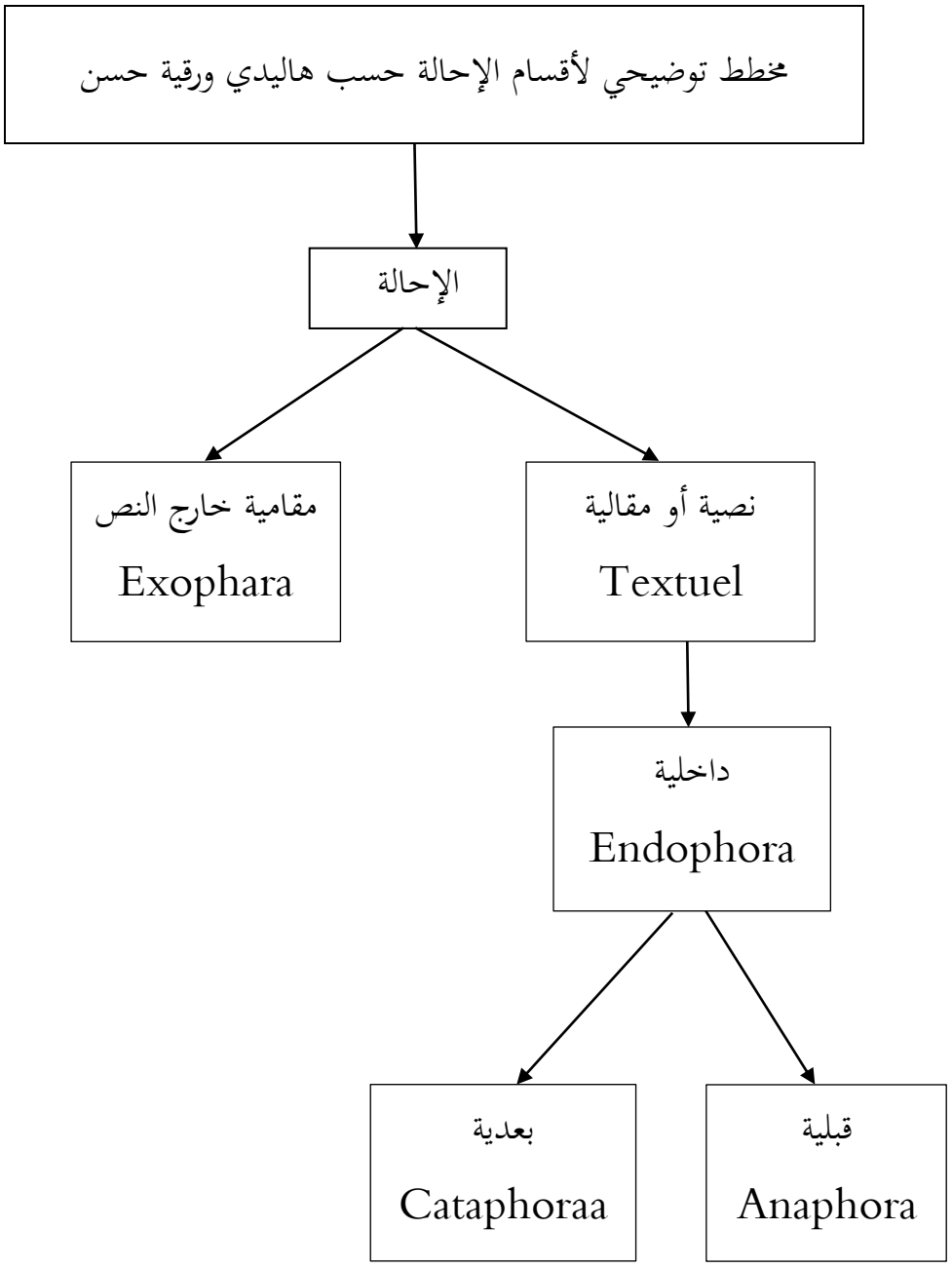

[1] الفقي، صبحي إبراهيم: علم اللغة النصي، ج2، ص68.

4.1.2- المدى الإحالي:

وتنقسم الإحالة باعتبار المدى الذي يفصل بين العنصر المحيل والعنصر المحال إلى قسمين:

أ- إحالة ذات المدى القريب:

وتكون على مستوى الجملة الواحدة، تجمع العنصر الإحالي بمفسره.

ب- إحالة ذات المدى البعيد:

وتكون الجملة المتصلة أو المتباعدة في فضاء النص[1].

وستقدم الدراسة المثال التالي، لتوضيح الإحالة وأنواعها:

- يقول بديع الزمان الهمذاني في مقامته: «...قالت الجارية: إن لي شيخا ظريف الطبع، طريق المجون، فأسرني حتى سرني، فوقعت الغلطة و تكررت الغبطة...قال: ودعت أي جارية. بشيخها فإذا هو إسكندري أبو الفتح...»[2].

لقد تنوعت الضمائر في المثال حيث قامت بوظيفة الربط بين الكلمات كالتالي:

[1] عفيفي، أحمد: نحو النص، ص119-120.

[2] الهمذاني، بديع الزمان "أبو الفضل أحمد بن الحسيم ": المقامات، قدم له وشرح غوامضه الإمام محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م، ص62.

نوع الضمائر	وسيلة الاتساق الإحالية	المحال عليه	نوع الإحالة
-الضمائر المستترة	قالت "هي"	الجارية	إحالة نصية قبلية
	مر، سار "هو"	الشيخ	إحالة نصية قبلية
-الضمائر المتصلة	سرني "أنا"	الراوي	مقاميه خارجية
-الضمائر المنفصلة	هو	أبو الفتح الإسكندري	إحالة نصية بعدية

2.2- الاستبدال:

هو صورة من صور الترابط النصي التي تتم في المستوى النحوي والمعجمي بين كلمات أو عبارات وهو (عملية تتم داخل النص؛ أي أنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر)[1]، ويستخلص من كونه عملية داخل النص؛ أي أنه تغيير عنصر بآخر على أن معظم حالات الاستبدال قبلية[2] ؛ أي علاقة بين عنصر متأخر وعنصر متقدم، فهو يعد مصدرا أساسيا من مصادر اتساق النصوص.

وينقسم الاستبدال إلى ثلاث أنواع[3]:

أ-استبدال اسمي: ويتم باستخدام عناصر لغوية اسمية (آخر، آخرون، نفس)كقوله تعالى: « **قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ ۚ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ** »[4].

وظفت لفظة "أخرى" في الآية الكريمة لاستبدال لفظة "فئة".

[1] عفيفي، أحمد: نحو النص، ص123

[2] خطابي، محمد: لسانيات النص، ص19.

[3] المرجع نفسه: ص124.

[4] سورة: آل عمران، الآية: 13.

ب– استبدال فعلي: ويمثله استخدام الفعل "بالفعل" مثل: هل تظن أن الطالب المكافح ينال حقه؟ أظن أن كل طالب مكافح يفعل، فالكلمة (يفعل) فعلية استبدلت بكلام كان من المفروض أن يحل محلها وهو "ينال حقه".

3.2– الحذف:

وقد أشار محمد خطابي في كتابه لسانيات النص "...إلى أن الحذف علاقة داخل النص، بحيث يوجد العنصر المفترض في النص السابق. وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية"[1].

وقد قسم "**هاليداى ورقية حسن**" الحذف إلى ثلاثة أنواع تتمثل في[2]:

أ– الحذف الاسمي: ويقصد به حذف اسم داخل المركب الاسمي مثل: أي كتاب ستشتري؟ هذا هو الأفضل، أي هذا الكتاب.

ب – الحذف الفعلي:

أي أن المحذوف يكون عنصرا فعلا مثل: ماذا كنت تفضل؟ الرياضة التي تعطينا الصحة الجيدة، والتقدير: أُفَضل الرياضة.

ج– الحذف داخل شبه الجملة:

مثل: كم ثمن هذه القصة؟ ثمن هذه القصة ثلاث جنيهات.

ففي الجواب حذف شبه الجملة "ثمن هذه القصة".

[1] ينظر: المرجع السابق، ص21.

[2] عفيفي، أحمد: نحو النص، ص127.

فمما سبق يتضح أن الحذف يقوم بدور مهم في عملية اتساق النص، وإن كان هذا الدور مختلفا من حيث الكيف عن الاتساق بالاستبدال والإحالة، وأن المظهر البارز الذي يجعل الحذف مختلفا عنهما هو عدم وجود أثر المحذوف فيما يلحق من النص، فهو ذهني.

والحذف في الحقيقة لا يختلف عن الاستبدال إلا في نقطة واحدة كون الاستبدال يترك الأثر في حين الحذف لا يترك الأثر، وذلك يعطي للقارئ مادة يستطيع من خلالها أن يكتشف العنصر المقصود، والذي يعين على بناء النص وتماسكه واتساقه، وهذان العاملان يساعدان النص على الاختصار وعدم الإطالة بذكر معلومات فائضة.

4.2- الوصل:

يعرف "هاليداي ورقية حسن" الوصل بأنه: "تحديد الطريقة التي يترابط بها اللاحق مع السابق بشكل منظم"[1]؛ بمعنى أن النص عبارة عن متتالية جملية متعاقبة خطيا، ولكي يدرك كوحدة متماسكة يحتاج إلى عناصر متنوعة تصل بين أجزاء النص.

ويقدم علماء النص تصورا دقيقا لصور الربط النصي، فيذكرون أن التماسك خاصية دلالية للخطاب، تعتمد على فهم كل جملة مكونة للنص في علاقتها بما يفهم من الجمل الأخرى ويشرحون العوامل التي يعتمد عليها الترابط على المستوى السطحي للنص: وهو يتمثل في مؤشرات لغوية، مثل علامات العطف والوصل والفصل والترقيم، وكذلك أسماء الإشارة وأدوات التعريف والأسماء الموصولة والزمان

[1] خطابي، محمد: لسانيات النص، ص23.

والمكان وغير ذلك من العناصر الرابطة التي تقوم بوظيفة إبراز العلاقات السببية بين العناصر المكونة للنص في مستواه الخطي[1].

وانطلاقا مما ذكر فإن أدوات الوصل بكل أنواعها تسهم في اتساق النص بتمظهرات نصية مختلفة. وقد قسم "هاليداي ورقية حسن" الوصل إلى ثلاثة أنواع[2]:

أ- الوصل الإضافي:

يتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الأداتين "و" و"أو" وبقية حروف العطف في العربية وتندرج ضمن المقولة العامة للوصل الإضافي علاقات أخرى مثل: التماثل الدلالي المتحقق في الربط بين الجمل من نوع بالمثل...وعلاقة الشرح أعني، وعلاقة التمثيل متجسدة في تعابير مثل: نحو، مثلا...إلخ.

ب- الوصل العكسي:

يعنى هذا المظهر "على عكس ما هو متوقع"، ويعبر عنه بأدوات مثل (لكن، مع ذلك، أبدا، بيد أن، غير أن) وهو عند "روبرت دي بوجراند "ربط يفيد الاستدراك، حيث يكون على سبيل السلب وفيه يتم ربط صورتين من صور المعلومات بينها علاقة التعارض[3].

[1] ينظر: البحيري سعيد حسن: علم لغة النص، مكتبة لبنان، ط1، ص123.

[2] خطابي، محمد: لسانيات النص، ص23.

[3] ينظر: إلهام أبو غزالة، "على خليل حمد": مدخل إلى علم لغة النص (تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند)، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط2، 1999م، ص109-110.

ج- الوصل السببي:

يمكننا إدراك العلاقة المنطقية بين جملتين أو أكثر، وتندرج ضمن علاقات خاصة كالنتيجة والسبب والشرط...إلخ؛ وهي علاقات منطقية ذات علاقة وثيقة بعلاقات عامة هي السبب والنتيجة ويعبر عنها بأدوات مثل: (هكذا، لأن، لكي، أن، إذا، فاء السببية) ويطلق عليها بالإتباع[1].

5.2- الاتساق المعجمي:

يشكل الاتساق المعجمي مظهرا من مظاهر اتساق النص، إذ يتخذ وسائل أخرى غير الوسائل النحوية، فتتحدد الكلمات المتشابهة أو المرادفة في النص، ويتحقق بفضله الترابط النصي. ويتخذ الأشكال التالية[2]:

أ- التكرير (إعادة اللفظ):

يدور مفهوم التكرير من الناحية اللغوية حول الرجوع والبعث وتجديد الخلق بعد الفناء، وهو ضم ضلعي الرجل والجمع بينهما، بمعنى أنه يحمل معنى الإحالة القبلية والرجوع إلى ما سبق (في معنى الرجوع)، ويحقق معنى التماسك في "ضم ضلعي الرجل والجمع بينهما".

ب- التضام:

يعد التضام من وسائل التماسك النصي المعجمي ويطلق عليه أيضا (المصاحبة المعجمية، التلازم الشكل)، وهو (توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك)[3]،

[1] المرجع نفسه: ص111-112.
[2] عفيفي، أحمد: نحو النص، ص106.
[3] خطابي، محمد: لسانيات النص، ص25.

تلك العلاقة الحاكمة للتضام متنوعة، تتخذ شكل(علاقة التعارض "التضاد"، علاقة الجزء بالكل علاقة الترادف، علاقة التنافر).

خلاصة :

ومما سبق ذكره نقول أن الاتساق يعتبر من أهم الجوانب في دراسة النص، لذلك كان لزاما في هذه الدراسة وبالضبط في هذا الجزء استخراج أدوات الترابط النصي، والتي كونها تحقق نصية النص وطبيعة النظام اللغوي المشكل للنص، للوصول إلى القيم الدلالية لها، لأن أي عمل لا يقتصر على العمل الدلالي فقط، وإنما بالتعاضد والتكامل بين الشكل والدلالة، وهو الأمر الذي تسعى هذه الدراسة لرصده من خلال الكشف على الارتباط الكلي للخطبة، بأدوات الترابط النصي التي تعتبر معايير يمكن الاستناد إليها في الحكم على اتساق نص ما، مع العلم أن كل أداة من أدوات الاتساق تنطلق من فكرة مختلفة عن الأخرى في علاقتها مع النص، لكي تتفق جميعها في القيام بدور لغوي يعد الأساس لتكوين النص.

المطلب الثاني: الانسجام

1- مفهومه:

1.1- لغة:

جاء في لسان العرب: «سَجَمَتْ العين الدمع والسحابة الماء وَسَجَمَه سَجْمًا وسُجُومًا، وسَجَمَانًا: وهو قطرات الدمع وسيلانه، قليلا كان أو كثيرا وانْسَجَمَ الماء والدمع فهو مُنْسَجِمٌ إذا انْسَجَمَ والانْسِجَامُ هو الانصباب[1].

كما ورد في "القاموس المحيط" :«سَجَمَ الدمع سُجُومًا وسِجَامًا، ككتاب، وسَجَمَتْ العين والسحابة الماء تَسْجُمُهُ سَجْمًا وسُجُومًا وسَجَمَانًا، قطر دمعها وسال قليلا أو كثيرا»[2].

2.1- اصطلاحا:

ظهر مصطلح الانسجام عند الغرب بلفظ "Cohérence"[3]، ومعناه هو «الالتحام ويتطلب من الإجراءات ما تنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه، وتشتمل وسائل الالتحام على العناصر المنطقية كالسببية والعموم والخصوص، معلومات عن تنظيم الأحداث

[1] ابن منظور: لسان العرب، مج3، ج22، ص1947، (مادة سجم).

[2] الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1999م، مادة (س ج م)، ص1009-1010 .

[3] ازوالد ديكرو وجان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان والدار البيضاء، المغرب، ط2، 2007م، ص16.

والأعمال والموضوعات والمواقف، السعي إلى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية، ويتدعم الالتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم»[1].

2- آليات الانسجام:

نظرا لتعدد وتنوع العلوم التي تجعل من النص أو الخطاب محور دراسة لها اختلفت الاتجاهات النظرية لها كل وفق منظوره الذاتي ووجهته الخاصة. ولهذا تعددت عمليات الانسجام وآلياته تبعا لتباين آراء علماء النص ولعلنا في هذا المقام سنركز على أهم وأبرز الآليات المعروفة لدى علماء النص.

1.2- السياق(contexte):

يعد السياق أداة فاعلة في إضاءة النص وسبر أغواره[2]، لذلك كان محور اهتمام علوم اللغة بصفة عامة وعلم النص بصفة خاصة فهو مجموع المعطيات التي تحيط بالحدث الكلامي[3]، أو هو اتجاه مجرى الأحداث[4] التي تحدد معنى الوحدات اللغوية والكلمات ومن ثم بيان دلالة الجمل[5]، ولهذا صرح "**فيرث**" بأن المعنى لا ينكشف إلا من خلال تسييق الوحدة اللغوية، أي وضعها في سياقات مختلفة[6]، أما "**بروان** "و"**يول**" فالسياق عندهما يلعب دورا فعالاً في تأويل وفهم وتفسير الخطاب. فهو يتشكل

[1] روبرت دي بوجراند: النص والخطاب والإجراء، ص103.

[2] جميل عبد المجيد: بلاغة النص، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 1999م، ص31.

[3] نورة جبلي: السياق والأسلوب (دراسة في الشعر العربي القديم) مجلة اللسانيات واللغة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة، جوان2006م، ع1، ص155.

[4] فان دايك: النص والسياق استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي، ص258.

[5] ينظر: الفقي صبحي إبراهيم: علم اللغة النصي، ج1، ص106.

[6] أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتاب، القاهرة، ط5، 1998م، ص68.

لديهما من المتكلم والمستمع والزمان والمكان[1]. كما أن "هايمز" يبرز دور السياق بأنه يحصر من جهة عدد المعاني الممكنة، ويساعد من جهة أخرى على المعنى المقصود "واستعمال صيغة لغوية يحدد مجموعة من المعاني[2].

أما في تحديده لخصائص السياق والتي لها علاقة بتحديد نوع الأحداث الكلامية يركز رومان جاكبسون على ما يلي:

° المرسل (وظيفة تعبيرية).

°المرسل إليه (وظيفة إفهامية).

°القناة.

° السياق.

° الشفرة.

° الرسالة[3].

2.2- المعرفة الخلفية:

يرى بروان ويول أن المخاطب أو المتلقي لا يتلقى ما يتلقاه من نصوص وهو خاوي الذهن بل يتلقى وقد توفرت عنده جملة من المعارف وهي التي نطلق عليها المعرفة الخلفية[4]، ويقصد بها ثقافة

[1] ينظر: خطابي محمد: لسانيات النص، ص52.

[2] بروان ويول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التركي، جامعة الملك سعود، الرياض المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت)، ص47.

[3] رومان جاكبسون، وهاريس هالة: أساسيات اللغة، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، أبو ظبي، ط1، 2008م، ص20.

[4] ينظر: الشاوش محمد: أصول تحليل الخطاب، في النظرية النحوية العربية-تأسيس نحو النص-، ص175.

المتلقي وأدواته المعرفية، وما لديه من قدرة على التصور الذهني للأشياء[1]، يعني هذا أن الإنسان يملك معرفة موسوعية يستعين بها لفهم الخطاب أو النص الذي يواجهه بحيث يعتبر "رايسبيك" الفهم عملية ذاكرة.

ومن ثم فإن فهم الخطاب يعد بالأساس عملية سحب للمعلومات من الذاكرة وربطها مع الخطاب المواجه[2].

3.2- التأويل المحلي:

إن التأويل في الثقافة العربية من أبرز المصطلحات التي دار حولها جدل غير قليل بين العلماء قديما في مختلف اتجاهاتهم ومذاهبهم التي يدعون إليها، فالتأويل ظهر جليا في أفكار ونظريات علماء الكلام أو المتكلمين فهو عندهم علم قائم بذاته[3].

إن مبدأ التأويل أو التأويل المحلي كما يسميه "**محمد خطابي**" «يعتبر تقييدا للطاقة التأويلية لدى المتلقي باعتماده على خصائص السياق، كما أنه مبدأ متعلق أيضا بكيفية تحديد الفترة الزمنية في تأويل مؤشر زمني مثل (الآن) أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم (محمد) مثلا»[4]، فمن هذا يتبين أن وظيفة التأويل المحلى تقييد البعد التأويلي للنص/الخطاب، وذلك اعتمادا على خصائص السياق التي من شأنها حصر القراءات أو التأويلات الممكنة للنص، واستبعاد القراءات التعسفية التي

[1] بروان ويول: تحليل الخطاب، 279.

[2] خطابي، محمد: لسانيات النص، ص62.

[3] بارة، عبد الغني: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط)، 2005م، ص336.

[4] خطابي، محمد: لسانيات النص، ص56.

تفرض على النص، فالتأويل إذن هو القراءة الممكنة للنص؛ لأن هذا الأخير ليس مغلقا على ذاته، بل هو مفتوح على القارئ يدخله في أي زاوية شاء، فينتج ويبدع نصا جديدا فوق النص الأول[1].

4.2- التغريض (The matisation):

يعرفه **"بروان"** و **"يول"** بأنه: "«نقطة بداية قول ما»[2]، ونقطة بداية أي نص تكمن في عنوانه أو الجملة الأولى، فالعنوان عنصر مهم في سيميولوجيا النص، ففيه تتجلى مجموعة من الدلالات المركزية للنص الأدبي[3]، إذ يثير لدى القارئ توقعات قوية حول ما يمكن أن يتضمنه النص لذا عده بروان ويول القوى بأنه وسيلة من وسائل التغريض[4]، لاحتوائه على وظائف رمزية مشفرة بنظام علامي دال على عالم من الإحالات[5]، فهو إجراء في هدف النص وغرضه[6].

5.2- ترتيب الخطاب:

لا ريب في أن للأحداث المرتبة في النص/الخطاب وفق حصولها في الواقع أثراً على عملية الانسجام[7]، وقد تحدث علماء الغرب عن ترتيب الخطاب أو الأحداث حيث عده **"فان دايك"**

---

[1] نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، 2005م، ص192.

[2] بروان ويول: تحليل الخطاب، ص126.

[3] عزام، محمد: النص الغائب، ص26.

[4] خطابي، محمد: لسانيات النص، ص60.

[5] حمداوي، جميل: السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، الكويت، المجلد:25، العدد3، 1997م، ص76.

[6] العموش، خلود: الخطاب القرآني، ص411.

[7] ينظر: خطابي، محمد: ص183.

مظهرا من أهم مظاهر الانسجام، وأطلق عليه الترتيب العادي للوقائع[1]، إذ أن الجمل إذا كانت تدل على الأحداث فإن انتظام سلاسل من الجمل ينبغي أن يدل على مجموع منظم من الأحداث[2].

أما أهم شيء أشار إليه "فان دايك" في هذا الأمر هو العلاقات التي تحكم هذا الترتيب لجهة اعتبار الأحوال الموصوفة وهي: عام وخاص، جزء وكل/مركب، مجموعة وفئة وعنصر...الخ[3].

وبهذا يتضح الدور الأساس الذي يقوم به الترتيب في سبيل تحقيق تماسك النص/الخطاب.

6.2- موضوع الخطاب أو(البنية الكلية)"Topic of Discourse ":

أو موضوع التحاور، فهذان المفهومان مترادفان عند **"فان دايك"**، وهو يرى أن موضوعات الخطاب «ترد المعلومات السيمانطقية وتنظمها و ترتبها تراكيب متوالية ككل شامل»[4].

ويقصد بموضوع الخطاب أيضا البنية الدلالية التي تصب فيها مجموعة من المتتاليات بتضافر مستمر قد تطول أو تقصر حسب ما يتطلبه الخطاب[5].

ويهتم التحليل النصي بالبنية الكبرى المتحققة بالفعل وهي: «بنية مجردة تقارب بموضوع الخطاب الذي يعتبره فان دايك مفهوما عمليا»[6]، أي أنها كامنة وحاضرة في البنية الموضوعية للنص «وهي تتسم بدرجة من الانسجام والتماسك وهذا التماسك ذو طبيعة دلالية»[7].

---

[1] ينظر: المرجع نفسه، ص38.

[2] فان دايك: النص والسياق، ص150.

[3] ينظر: فان دايك: النص والسياق، ص154.

[4] المرجع السابق: ص185.

[5] خطابي، محمد: لسانيات النص، ص180.

[6] المرجع السابق: ص283.

[7] فضل، صلاح: بلاغة الخطاب وعلم النص، ص328.

أما كيفية تحديد البنية الكبرى للنص، فإن الملاحظ أن القراء يختارون من النص عناصر مهمة تتباين باختلاف معارفهم واهتماماتهم وآرائهم، وعليه يمكن أن تتغير البنية الكبرى من شخص إلى آخر باختلاف المرجعية الثقافية والنقدية والمنهجية، أما قواعد الوصول لهذه البنية الكبرى للنصوص فهي كما يشرحها "فان دايك" تتمثل فيما يلي[1]:

-الحذف والانتقاء.

-التعميم.

-التركيب أو البناء.

7.2- العلاقات:

ينظر عادة إلى العلاقات التي تجمع أطراف النص أو تربط بين متولياته دون وسائل شكلية تعتمد في ذلك على أنها علاقات دلالية، مثل علاقات العموم والخصوص، السبب والمسبب، المجمل والمفصل، وهي علاقات متواجدة عبر مساحة النص محققة تماسكا دلاليا بين بنياته، كما لها دور الأخبار من أجل تحقيق درجة معينة من التواصل «بيد أن النص الشعري قد يوحي بعدم الخضوع لهذه العلاقات»[2]، لأن بنيته الدلالية التي تربط أجزاء النص قائمة عبر هذه العلاقات المعنوية.

1 ثروندايك: النص، بناؤه ووظائفه، ترجمة: جورج أبي صالح، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت- لبنان، العدد 5، 1989م، ص65.

2 ينظر: خطابي، محمد: لسانيات النص، ص269.

8.2- التناص:

تهدف الدراسات المتصلة بالتعالق النصي إلى إبراز عدم اقتصار النص على حدث واحد، إذ ربما تداخلت فيه مجموعة من الأصوات الناجمة عن تداخل النصوص ضمن الجنس الأدبي الواحد، فلكل نص تناص تتمثل فيه نصوص أخرى على مستويات مختلفة سواء مما سلف أو مما حضر، فكان كل نص هو نسيج جديد من شواهد معادة[1]، من هنا يظهر أن النص تنتظم فيه مجموعة من النصوص سواء جاءت عن طريق وعي أو غير وعي لأن المؤلف اجتمعت لديه كثير من النصوص كان صداها قائما في النص الجديد، بحيث تشكل هذه النصوص نسيجا نصيا واحدا يتعالق بعضها مع بعض محدثة بناء متراصا.

9.2- المستوى التداولي:

التداولية هي أحدث فروع العلوم اللغوية، حيث تتطرق إلى اللغة كظاهرة خطابية وتواصلية واجتماعية، يعرفها "**آن ماري ديبر**" و"**فرانسوا ريكاناتي** "كالتالي: «التداولية هي دراسة استعمال اللغة في الخطاب شاهدة في ذلك على مقدرتها الخطابية»[2]، وتعنى بتحليل عمليات الكلام ووصف وظائف الأقوال اللغوية وخصائصها خلال إجراءات التواصل بشكل عام، فهي «تعالج قيود صلاحية

[1] مرتاض، عبد المالك: نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2007م، ص283.

[2] آن ماري ديبر وفرانسوا ريكاناتي: المقاربة التداولية إلى اللغة، تر: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1989م، ص8.

أفعال كلامية وقواعدها بالنسبة لسياق معين، وبعبارة أكثر إيجازا تدرس التداولية العلاقة بين النص والسياق[1].

خلاصة:

ومما سبق ذكره نخلص إلى أن الانسجام هو ذلك التتابع والانتظام وعدم الانقطاع في الانحدار وتتابع الألفاظ واتحادها، ويتشكل الانسجام النصي من خلال العلاقات التي تربط معاني وأفكار الجمل في النص، بحيث يكون النص منسجما ولهذا لزم توافر أمور أهمها: السياق، التأويل المحلي ترتيب الخطاب، موضوع الخطاب، التناص...الخ، كما أن النص/الخطاب تكمن نصيته باحتوائه على العلاقات المعنوية التي تتضافر مع عناصره اللغوية الشكلية في خلق ونسج بنيته النصية التي جعلت منه كلا موحدا متماسكا.

ومن هنا إذا ما نظرنا إلى العلاقة القائمة بين الاتساق والانسجام في تشييدهما للوحدة النصية نجد أنها علاقة تكامل؛ ذلك بأنهما يشكلان معا تلك الأجزاء المترابطة والمتعالقة فيما بينها لتحقيق ذلك الكل؛ معنى هذا أن التماسك يمثل ذلك الكل الذي تكامل كلا الجزأين-الاتساق والانسجام- في تشكيله، والذي سيحققانه في تماسك خطبة حجة الوداع هذه الجزئية التي سنعالجها لاحقاً والتي من خلالها ستظهر لنا مظاهر الاتساق والانسجام والدور الذي حققاه في تماسك الخطبة.

[1] تون فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، تر: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة- مصر، ط1، 2001م، ص141.

الفصل الثاني

الخُطبة نشأتها وتطورها

المطلب الأول: تعريفها ونشأتها وعوامل رقيها

1- تعريفها:

1.1- لغة: جاء في كتاب ابن منظور: يُقَال خطب فلان إلى فلان فخطبه وأخْطَبَهُ أي أجابه.

والخطاب والمخاطبة: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مُخاطبة وخطابًا وهما يتخاطبان.

الخطبة مصدر الخطيب وخطب الخاطب على المنبر واخْتَطَب يَخْطُب خطابة واسم الكلام الخطبة. إن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد وهو أن الخطبة مصدر الكلام الذي يتكلم به الخطيب فيوضع مَوْضِع المصدر.

وذهب أبو إسحاق إلى أن الخطبة عند العرب: الكلام المنثور المسْجَعْ ونحوهُ التهذيب والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر ورجُلٌ خطيب حسن الخطبة وجمع الخطيب خطباء[1].

والخطابة في اللغة: وجاء في "المفردات" في غريب القرآن الخطب والمخاطبة والتخاطب المراجعة في الكلام والخطب: الأمر العظيم الذي يكثر فيه التخاطب[2].

ذُكر عن بن عباس رضي الله عنهما، أن الخطاب هو المحاورة، وعليه فالخطاب يشمل المراجعة والمحاورة والمواجهة[3].

أما الخطاب في المعجم الوسيط فهو بمعنى " الكلام والرسالة"[4].

---

[1] ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري: لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1424هـ - 2003م، مادة (خطب)، ص423 .

[2] مكتبي نذير محمد: خصائص الخطبة والخطيب: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط3، 2001م، ص52.

[3] عبد الباقي محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، ص47.

[4] أنيس إبراهيم وعبد الحليم وآخرون: المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت، ط2، 1990م، ص243.

2.1- اصطلاحا:

الخطبة فن من فنون النثر قوامه الكلمات المشتقات والجمل الموزونة يلقيها صاحبها على مجموعة من المستمعين ليؤكد لهم رأيًا أو فكرة أو ليبرهن على عقيدة، أو موعظة، وكان لكل قبيلة في الجاهلية خطيب يُعددّ مآثرها[1].

ويمكن القول بأن الخطبة كالشعر لحمتها الخيال وسُدَاها البلاغة، وهي مظهر من مظاهر الفروسية والحرية، وسبيل من سُبل التأثير والإقناع تحتاج إلى ذلاقة اللسان ونصاعة البيان وأناقة اللهجة وطلاقة البداهة[2].

إذن يمكن القول بأن الخطبة قطعة من النثر الرفيع قد تطول وقد تقصر حسب الموهبة والحاجة التي يحتاجها الخطيب بعناية قبل إلقائها على المستمعين أو يرتجلها بداهة في المحافل والمواقف التي تكثر فيها الجسود وتستدعي إثارة وحماسة أو رص الصفوف أو قبول الصُلح أو لمجرد التباري الفني بالقول البليغ و تعدد المآثر والمفاخر. فأصبحت هذه الأخيرة وسيلة للوصول إلى سيادة القوم أو العشيرة وهذا طبعًا لا يمكن إلا أذا أتقن صاحبها وبرع في القول[3].

كما عرفت الخطابة في الاصطلاح: هي فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته، فلا بُد من مُشافهة وإلا كانت كتابة أو شعرًا مُدونًا، ولابُد من جمهور يستمع وإلا كان الكلام حديثًا أو وصية ولابُد من الإقناع وذلك بأن يُوضح الخطيب رأيه للسامعين، ويؤيدهُ بالبراهين ليعتقدوهُ، ثم لابُد من

[1] بوزواوي محمد: معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، (د.ط)، 2009م، ص 86.

[2] ينظر: الزيات أحمد حسن: تاريخ الأدب العربي، مطبعة النهضة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت)، ص 223 .

[3] ينظر: ضيف شوقي: الفن ومذاهبه في النثر العربي، (د.ط)، (د.ت)، ص 21.

الاستمالة والمراد بها أن يُهَيّج نفوس سامعيه أو يهدّئها، ويقبض على زمام عواطفهم ويتصرف بها كيف يشاء داعيًا إلى الثورة أو السكينة.

فأسس الخطابة: مشافهة وجمهور وإقناع واستمالة ومن السهل بعد ذلك أن يتبين قصور تعريف الخطابة بأنها: "**فن الكلام الجيّد**"، لأن الكلام الجيّد ينتظم الخطابة والكتابة والشعر[1].

ونخلص إلى أن أوضح وأدق ما عُرِّفت به الخطابة أنها: "**فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع و الاستمالة** ".

وهذا التعريف يقوم على عناصر معينة نذكرها:

أ) أن يكون الحديث مُخاطبة لجمهور من الناس.

ب) أن يكون بطريقة إلقائية.

ت) أن يكون الحديث مُقنعًا بحيث يشتمل على أدلة وبراهين تُثبت صِحة الفكرة التي يدعو إليها الحديث.

ث) أن يتوفر في الخطبة عنصر الاستمالة ،وهذا يعني توجيه عواطف السامعين واستجابتهم للرأي.

[1] الحوفي أحمد محمد: فن الخطابة، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1998م، ص5.

2- نشأتها وعوامل رُقيّها:

1.2- نشأتها:

لم يخل من الخطابة سِجِلٌّ أمة فقد حَفَظَها خط أشور المسماري، وقيدها خط الفراعنة الهيروغليفي ثم رواها تاريخ اليونان السياسي والأدبي مُنذ القرن السابع قبل الميلاد، وبها أُخضع بنو إسرائيل، وكان لها مكانها العظيم في مجامع العرب قبل الإسلام وفي أسواقهم الأدبية بنوع خاص[1].

والخطابة فن قديم نشأ مع الإنسان وصعد معه في مدارج الرقي، بل رُبما كانت أقدم الفنون الأدبية، فالمتمدينون والهمج في الحاجة إليها سواء، ولا تكاد تخلو منها أُمَّة عرفها التاريخ[2].

فالخطابة كما هو معلوم من أقدم الفنون النثرية عند العرب وقد انتشرت انتشارًا ملحوظًا في العصر الجاهلي لأنها تلائم ظروف ذلك العصر إذْ كان الخطيب يُمثل الشاعر لسان القبيلة المعبر عن مواقفها في السلم والحرب ومع أننا لا نجد كثيرًا من الخطب يدُل على القدرة على الارتجال التي امتاز بها العرب ويؤكد ما غشته به العرب من فصاحة وبلاغة[3].

وهناك مَنْ ردّ نشأة الخطبة إلى ضرورة اجتماعية وسلاح معنوي فمنذ أن اجتمع الناس في مكان واحد استوطنوا وتفاهموا بلسان واحد عرفوا الخطبة لأنه من الطبيعي أن يختلفوا في رأي أو عقيدة ومن الطبيعي أن يتنافسوا على غنيمة أو متاع أو سلطة، فيحاول المتفوق أن يستميل إليه من يُخالفونه وأن يُقنعهم فإذا أقنعهم واستمالهم فهو خطيب وقوله خطبة ثم إنه من الطبيعي أن تنشب أمور

[1] الحوفي أحمد محمد: فن الخطابة، ص 05.

[2] درويش محمد الطاهر: الخطبة في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر، ج1، ط1، 1981م، ص03.

[3] ركيبي عبد الله: تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د.ط)، 1974م، ص15.

تستدعي تعاون المجتمع وتضافر قُواهُ على اجتلاب نفع عام مشترك أو انقاء ضير فيتصدر لنا بهَون من هذا المجتمع لقيادة الجماعة وزعامتها عُدّتُهم في ذلك خطابتهم.

على أن الناس في حياتهم القديمة تسلحوا بأسلحة مادية للدفاع والعدوان، وتسلحوا أيضًا بسلاح معنوي وهو اللسان ومازالت الخطابة إلى الآن سِلاحًا مُرهفًا تتطاول به الأمم[1].

2.2- عوامل رقيّها:

الخطابة ضرورة من ضرورات الحياة الاجتماعية، فهي أداة السياسة والقيادة فمن أهم عوامل رقيها ما يلي:

1.2.2- الحرية: إنما تزدهر الخطابة في عصور الحرية الفكرية والقَولية فيتحرر كل شخص في تفكيره وينطلق إلى إذاعة ما اهتدى إليها وهو آمن عقاب الحاكم الظالم ولا يتهيأ الخطباء موضوعاً أو محفلاً ويحتذي بهم غيرهم من المطاحين إلى الشهرة، ومن القوانين إلى الإصلاح فتنتشر الخطابة في الشعب وتتعدد أنواعها. وتعتبر تعبيراً صادقاً عن عواطف القائلين والخطباء على كثرتهم يتسابقون إلى الإجادة ويتنافسون في طيران الصيت .

2.2.2- طموح الأمة إلى حياة أرقى: وتزدهر أيضاً إذا تفشى في الأمة سخط على النظام من نُظمها الدينية أو السياسية أو الاجتماعية وارتبط هذا السخط بطموح إلى مثل أعلى، وحياة أرقى وجد في تبديل الحالة، وتحقيق المثل وتاريخ الأمم يؤيد هذا:

[1] الحوفي أحمد محمد: فن الخطابة، ص05.

فقد كانت الخطابة راقية عند اليونان قبل الميلاد بخمسة قرون في كنف الحرية والنضال السياسي وقد تزعمها بركليس في ق 5م وديموس في ق 4م.

وكانت الخطابة في الأمة الرومانية شبيهة بهذا كله فالرومان كانوا في أول أمرهم محكومين بحكم دكتاتوري استبدادي، فكانت خاطبتهم خافتة ثم بدأ الشعب يتحرك ليُغير حاله ويثور على الطبقة الاستقرائية، فقويت الخطابة[1].

وفي القرن الثاني للمسيح اصطبغت الخطابة بالدين.

وقد ازدهرت الخطابة عند العرب في العصر الجاهلي، لأنهم عاشوا طلقاء في جزيرتهم لا يحد من حريتهم تعسف من حاكم. أو نظام جائر فهم أحرار في تفكيرهم وفي البوح بها، والدعوة لها.

ثم أتى الإسلام يدعو إلى توحيد الخالق سبحانه. ونبذ أديانهم الوثنية وكان الصراع عنيف، معنوياً ومادياً بين الدعاة إلى الجديد وبين المتمسكين بالقديم. وأنظم إلى الحرية فانبعثت الخطابة ثم قامت الدولة الأموية وأنقسم المسلمون إلى شيع سياسية ودينية ولكل حزب خطباؤه وهم جميعاً لا يدعون إلا لعواطفهم الثائرة فأينعت الخطابة.

3.2.2– الأمية وسرعة البديهة: إذا تفشت الأمية في شعب لجأ إلى الخطابة وسيلة الإقناع والاستمالة وإذا كان انتشار التعليم وذيوع الصحافة يُرقي الخطابة من حيث موضوعها وفنها فإنه يُضعفها من حيث شُمُولها وذُيُوعُها.

[1] المرجع السابق: ص 40.

وهذه الأمية مشفوعة إلى استعداد العرب الفطري لإجادة القول رقت الخطابة عندهم، لأن أميتهم أرهفت حَوَافِهم وذَوَاكِهم. فكانوا يَتَدَفقون في الخطابة تدفقاً، وأميتهم بعثت في نفوس المعمرين منهم أن ينفضوا ماضيهم وأحداثهم إلى السامعين، ليعِظُوهم أو ليُنَفِّسُوا عن أنفسهم بالتحلل من بعض ما يثقلهم من أخبار و أسرار أو ليزهوا بما كان لهم فيه من شأن عظيم.

4.2.2– الأحداث السياسية والدينية والاجتماعية: وإذا اضطرت الأمة لتغيير سياستها، أو تبديل دينها، أو إصلاح نظام اجتماعي من نظمها. انبعث منها خطباء يتصدرون الدعوة ويحتضنونها فيدعون إلى الجديد، ويكشفون عن مزاياها.

ولكن في الناس من يحرص على القديم ويُلاجي عنه فيصطرع هؤلاء وهؤلاء، وهم جميعاً يتذرعون بالخطابة وإن تسلحوا بأدوات القتال، وقد مَرَّ أثر الإسلام والنصرانية وأثر الدعوات السياسية في رفع الخطابة فمثلا في مصر خطباء يعالجون مشكلات المجتمع في محافل عامة، كمشكلة الفقر، والجهل، والمرض والبطالة، والانحلال الخُلقي وغيرها.

5.2.2– الحروب والثورات: قد تندلع في الشعب ثورات تنجلي عن رجات تهز النفوس وتفك عُقد الألسنة، وتكشف عن وجهات نظر شتّى فتنتعش الخطابة وينفسح ميدانها. كما حدث في مقتل عُثمان ﷺ وفي الثورة الفرنسية، وثورة يوليه سنة 1952م.

وقد تشتعل حرب بين أمتين، لطمع إحداهما في الأخرى. أو لمنافستها في مكانة أو مجال حيوي أو جرياً وراء شهوة الغلبة، انتقاماً وثأراً. فتنطلق الألسنة داعية إلى جمع الكلمة، ووحدة الغاية وبذل المال والروح، كما كان يحدث بين القبائل العربية، وبين الجمهوريات اليونانية، كما حدث في الحرب

العالمية الأخيرة. فكم من خطب سمع العالم وقرأ لهتلر وموسوليني وتشرشل وروزفلت وكما حدث في مصر أيضاً أيام العدوان الثلاثي.

6.2.2- الأحزاب السياسية: وإذا تعددت الأحزاب السياسية في أمّة كثر خطباؤها وارتقت خطابتها فقديماً انقسمت أثينا إلى حزب وطني يتزعمه ديموستين، خطته أن يبق بمعزل عن محالفة ملك مقدونيا، وأن تحيا أثينا حرة مستقلة. وحزب يتزعمه أشين يدعو إلى هذه المحالفة وكان من آثار هذا الانقسام أن أينعت الخطابة في أثينا وحديثاً تعددت الأحزاب السياسية في العالم، وكان في تعددها إنعاش للخطابة.

ولا شك أن في كل بلد أحزاب عدّة، ولكل حزب خطباؤه الذين يخطبون في البرلمان، وفي المحافل، وفي المناسبات، وكثير منهم جذاب خلاب.

وهناك عوامل أخرى مثل انتشار التعليم وازدهار الثقافة والوعي القومي، والحكم الدستوري النيابي، وكثرة المؤتمرات الدولية، وتعدد المشكلات العالمية[1].

3.2- تطور الخطابة العربية:

كان ظهور الإسلام إيذاناً بتطور واسع في الخطابة إذْ اتخذها الرسول ﷺ أداة للدعوة إلى الدين الحنيف طوال مقامه بمكة قبل الهجرة. حيث ظل ثلاثة عشر عاماً يعرض على قومه من قريش وكل من يلقاه في الأسواق آيات القرآن الكريم وهو في أثناء ذلك يخطب في الناس داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة والموعظة الحسنة، محاولاً بكل طاقته أن يوقظ لهم ضميرهم بما يصور لهم من قوّة الكائن

[1] المرجع السابق: ص 41 – 45.

الأعلى الذي لم يخلقهم عبثاً وإنما خلقهم ليعبدوه حق عبادته، وليستشعروا كل ما يمكن من الكماليات الروحية والاجتماعية والإنسانية، حتى تتم لهم السعادة في الدنيا والآخرة. وهاجر الرسول ﷺ إلى المدينة فاتصلت خطابته واتسعت جَنَبَاتُهَا بما أخذ يُشرع للمسلمين ويرسم لهم حدود دولتهم ونظم حياتهم التي ينبغي أن يأخذهم بآداب رفيعة من السلوك السامي، مبيناً معاني الإسلام الروحية التي تقوم على معرفة الله الواحد الأحد و الصلة به كما تقوم على معرفة العمل الصالح وأن وراء هذه الحياة أخرى يحاسب فيها الإنسان على ما قدمت يداه ولو كان مثقال ذرّة.

وعلى هذا النحو كانت خطابة الرسول ﷺ متممة للذكر الحكيم ومن ثم كانت فرضاً مكتوباً في صلاة الجمع والأعياد ثم مواسم الحج وتحتفظ كتب الحديث بما اتخذه فيها من سنن وتقاليد ثبتت إلى اليوم[1].

فمع ظهور الإسلام اتسع مجال الخطيب وازدهر جمهوره، وتنوعت صور العلاقة بين الطرفين فشهد الفن الخطابي تطوراً ظهرت بوادره على لسان خطيب الأمة الأول محمد ﷺ واستكمل بموقف من اتبعه اقتداءً بمسلكه الخطابي على مدار عصر الراشدين ﷺ ويستمر التطور ويأخذ الفن مسارات أخرى مع مطلع عصر بني أمية وبدا طبيعياً للخطابة أن تلتقي والشعر في مسارات متقاربة أساسها توظيف الكلمة[2].

[1] ضيف شوقي: تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ج2، ط 6، (د.ت)، ص 106 – 107.

[2] عاشور راتب قاسم: أساليب تدرس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط1، 1424 هـ، 2003م، ص 191.

المطلب الثاني: عناصرها وخصائصها وأنواعها:

1- عناصرها:

قسم أرسطو الخطبة إلى أربعة عناصر: المقدمة والعرض والتدليل والخاتمة وزاد بعضهم على هذه الأقسام التفنيد، وقصرها آخرون على ثلاثة: المقدمة والعرض وتنطوي فيه الأدلة والتفنيد والخاتمة. ولكل عنصر من هذه العناصر خصائصه.

1.1- المقدمة:

1.1.1- تعريفها: تبدأ المقدمة بالبسملة وتنتهي بالسلام وتمثل الخلفية النظرية لموضوع الخطبة ومجمل انطباعات الخطاب المتعلقة بالإلقاء وهي الإعلان الأول عن العمل الذي يدعو إليه الباحث أو الذي يريد إلقاءه، وتشتمل على نبذة مختصرة للتعريف بموضوع الخطبة وفكرتها الأساسية[1].

2.1.1- أهميتها: المقدمة من الخطبة كالمطلع من القصيدة، والافتتاح في الموسيقى كل منها يُمهد لِما بعده ويُعِدّ السامعين إلى الإصغاء.

والمقدمة أول ما يطرق الأسماع من الخطبة فإذا كانت جيّدة أصغى السامعون وتأهبوا لما بعدها وتفتحت نفوسهم للخطيب، وإلا كانت نذيراً بفشله وتفاهة أثره وكثيراً ما تتخذ المقدمة وسيلة لأن يَسُود الصمت بعد الهرج حدث إثر خطبة سابقة أو من جرّاء مناقشة في موضوع الخطبة قبل سماع الرأي فيها أو اضطراب لسبب من الأسباب.

[1] لعيبي الهادي نهر: البحوث اللغوية والأدبية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد- الأردن، (د.ط)، 2009م، ص137.

وقد تكون المقدمة ضرورية لا يستغني عنها الخطيب كأن يكون الخطيب مجهولاً لا صلة للسامعين به، فيعتمد على المقدمة لعقد هذه الصلة أو يكون الموضوع الذي يخطب فيه مجهولاً للسامعين، أو لا يثير اهتمامهم لأنه في القطر الأول لا يَمُس صالحهم فيعتمد على المقدمة لتوضيح أهمية الموضوع وبيان قيمته حتى تصل بقلوبهم فيعلموا ما يُقال عنه، أو تكون الفكرة التي يدعو إليها الخطيب بغيضة إليهم، كأن يدعو إلى الاشتراكية في جمع المالكين، وإلى التحلل من قيود الدين في مجتمع من المتدينين فيقدم خطبته بكلمة مُلَطِّفَة لهذه الخصومة مخففة لما في نفوسهم من عداء سابق لما يَدْعو إليه إذْ يَدْعوا الجمع إلى الخضوع للحق والتجرد من التعصب للهوى ولو فترة من الزمن وفي غير هذه الأحوال لا حاجة إلى المقدمة[1].

3.1.1- مميزات وأسلوب المقدمة:

- أن تكون مشوقة وذات قدرة على شدّ انتباه السامعين.
- البدء بألفاظ واضحة ومفهومة وأفكار قريبة لا تحتاج إلى تفكّر.
- أن تكون شديدة الصلة بموضوع الخطبة فلا توجد بينهما أي فجوة بل تكون امتداداً للمقدمة وبذلك يتم ربط الصلة بينهما.
- من ناحية طول المقدمة وقصرها يجب أن تكون غير مسرفة في أي من الجانبين[2].

[1] الحوفي أحمد محمد: فن الخطابة، ص 17.

[2] الشريف حامد: فن المرافعة أمام المحاكم الجنائية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، (د.ط)، 2004م، ص 116.

فمقدمة الخطبة أو بدايتها حديث يبدأ به الخطيب خطبته لجذب انتباه السامعين نحوه ولتهيئتهم للإقبال عليه والسماع لما سيقوله لهم تمهيداً للفكرة التي يريدها بحيث تكون مُوجزة، جذابة، مُتصلة بالموضوع اتصالاً وثيقاً.

يبدأ بألفاظ واضحة مفهومة وأفكار قريبة لا تحتاج إلى تفكير وبعد أن يطمئن إليه الناس ويتجهون بآذانهم نحوهُ يستطيع أن يتحدث عن الفكرة التي يريد. وفي أكثر الأحيان يستوحي الخطيب مقدمته من المجتمع الذي يحيط به ويتوقف هذا على مقدرته الكلامية ومحصوله الأدبي واللغوي وقد تكون المقدمة قص حادثة غريبة أو مثيرة ثم ينتقل منها إلى عرضه[1].

2.1- العرض:

1.2.1- تعريفه:

هو الجزء الأساس في الخطبة وعمودها الفقري وكيانها وذلك أن الأجزاء الأخرى يمكن الاستغناء عنها أما هذا الجزء فهو الأساس وبقية الأجزاء جيء بها من أجله، ومهمتها هي إنجاحه وتثبيت آثاره وفيه يفصح الخطيب عن غرضه ويواجه السامعين بما يريد أن يتحدث إليهم وفيه يعرض الخطيب البراهين و الأدلة التي يراها مؤيدة لفكرته[2]، وتتوقف جودة هذا العرض على أمور أهمها:

[1] عاشور راتب قاسم: أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، ص 192 .

[2] عبد الجليل عبد شبلي: الخطيب وإعداد الخطيب، دار الشروق، بيروت، ج1، ط1، 1968م، ص 45.

2.2.1- شروط جودته:

أ- الوحدة: وذلك أن تنبع مسائله كلها من ينبوع واحد كأنصاف أقطار الدائرة تتشعب كلها من مركز الدائرة.

ب- الترتيب: فيعرض الخطيب موضوعه متسلسلاً يُسلم كل جزء إلى ما بعده وبذلك يُمَهِّد الأجزاء كلها إلى النتيجة التي يريدها.

ج- الوضوح: بحيث يستطيع السامع أن يفهم ما يُقال، ويتحقق الوضوح في الخطبة إذا فهم السامع الموضوع في يسر وسهولة.

ومَردُّ الوضوح إلى ثلاثة أمور: جلاء الفكرة وجلاء اللغة، وجلاء التصميم[1].

3.1- الخاتمة:

1.3.1- تعريفها: هي رجع الصدى من صوت الخطيب وآخر نغمة في أذن السامعين فلابد أن تكون ذات نغمة قوية ومؤثرة، لا ضعيفة فاترة، ولابد أن تحدث من الأثر ما يرجوه الخطيب من موضوع خطبته، وقد تكون تلخيصاً للعرض وتوكيداً له. فهي أثبت في الذهن وأَعْوَنُ على الحفظ وأقوى على التأثير[2].

فهي أن يُلقي الخطيب كلمة خاطفة قوية التعبير بحيث يشعر السامع أن الخطيب قد انتهى من عرض فكرته ولم يعد في نفسه رغبة في المزيد[3].

---

[1] بوملجم علي: في الأسلوب الأدبي، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، الطبعة الأخيرة، 1421هـ، 2000م، ص23.

[2] حسن محمد عبد الغني: الخطيب و المواعظ، دار المعارف، مصر، ط1، 1119هـ، ص42.

[3] ركيني عبد الله: تطور النثر الجزائري الحديث، ص16.

2.3.1- شروط جودتها:

أهم شروط الخاتمة هي:

1-أن لا تكون بعيدة عن الموضوع ولا مجددّة لأدلة وآراء جديدة.

2-أن تكون قوية في تعبيرها وأيضاً في إلقائها.

3-أن تكون قصيرة على نحو ما وتكون حاسمة ومشوقة[1].

2- خصائص الأسلوب الخطابي:

أسلوب الخطابة مستمد من طبيعة هذا الفن الذي يجمع بين الإقناع الاستمالة. فهو أسلوب يمتزج بين تكفل الإقناع بالإثارة التي تحقق الاستمالة لابد أن يكون مُنوعاً جامعاً تقرير الحقائق وإثارة العواطف، يتجه إلى الفكرة وإلى الوجدان، ومن خصائص هذا الأسلوب:

1.2- الإطناب: يتسم الأسلوب الخطابي بالإطناب، وإذا كان غير محمود في الأسلوب الكتابي أو العملي فإنه محمود في الأسلوب الخطابي وهو ضروري في الخطابة السياسية والقضائية والحفلية ولكنه غير مستطاع في الخطابة الحربية.

2.2- الوضوح: يتسم الأسلوب الخطابي بسهولة العبارة، ووضوح المعنى لأن فهم المعاني أساس الإقناع والاستمالة. بمعنى أن يكون كلاماً سهلاً فيه قوة وسامياً في وضوح وسهولة يفهمه أنصاف المتعلمين، ومن الخطأ أن يغرب الخطيب في أسلوبه. ويتسامى بتعبيره تسامِياً يغلق معانيه على السامعين.

[1] الشريف حامد: فن الرافعة أمام المحاكم الجنائية، ص116.

3.2– إثارة الشعور: الأسلوب الخطابي في حاجة ماسة إلى إثارة الشعور لأن الوضوح وحده لا يكفي ذلك أن الوضوح يَكفل الإقناع أو قوة الأسلوب فتكفل الاستمالة.

4.2– الموسيقى: أن يكون الأسلوب الخطابي موسيقيا رناناً.

5.2– القياس المضمر: وهو قياس حذفت إحدى مقدمتيه مثل: هذا الرجل مَجدٌ فهو ناجح حذفت المقدمة الكبرى (كل من يَجدُ ينجح).

6.2– التدليل: كثيراً ما يحتاج الخطيب إلى التدليل على صحة رأيه والأدلة نوعان: أدلة منطقية وأدلة خطابية.

7.2– التفنيد: هو مناقشة أراء الخصم وأدلته لإبطالها سواء أكان التفنيد للآراء العامة التي دعا الخصم إليها، أم النتائج التي استنبطها وكثيراً ما يضطر الخطيب إلى تفنيد ما قاله خصمه ليمحو من النفوس أثره وقد يسبق خصمه إلى تفنيد آرائه التي يتوقعها ليسد عليه المسالك.

3– أنواع الخطب:

لم يقسم المحدثون الخطابة اعتماداً على غرض أو زمن الخطبة كما فعل اليونان حيث كانت الخطبة تستمد نوعها من ظروفها. والتقسيم الحديث للخطابة هو تقسيم طبيعي يعتمد على موضوعها وهي على هذا تنقسم إلى:

1.3– الخطابة السياسية:

1.1.3– تعريفها: ونعني بها الخطبة التي توجه من حكومة الدولة إلى وجهة معينة سواء في علاقاتها الخارجية أو أعمالها الداخلية، كالتي تُلقى في المجالس النيابية أو النوادي العمومية التي ينظر فيها النواب

ورجال شؤون الدولة وأمور الرعية لسن القوانين وتنظيم الدوائر الرسمية كالمالية والعدل والحربية، فكان للخطابة السياسية المكان الأول بين أنواع الخطابة لكثرة السياسة وتغلغلها في الحياة وسيطرتها على مصيرها[1]، فالخطابة السياسية هي التي تدور حول الشؤون العامة لدولة[2].

2.1.3- خصائص أسلوبها:

1-تعتمد على الخيال لإثارة العاطفة.

2-تنوع أساليبها الرائعة من شدّة إلى لين، ومن جد إلى هزل، ومن إخبار إلى استفهام، ومن تسليم إلى إنكار.

3-اللياقة في التعبير بحيث تؤدي الجملة ما يريد السياسي، فقد تكون صحيحة لا التواء فيها وقد تكون مبهمة.

4-الاستشهاد بنصوص القوانين والمعاهدات وتصريحات السياسة إذا عرض الخطيب لتصرف سياسي ذي صلة بالقانون.

2.3- الخطابة القضائية:

1.2.3- تعريفها: وهي الخطب التي تلقى في دور المحاكم، وازدهرت كسائر الخطب في اليونان حيث كان الخطباء يدافعون عن مالهم وشرفهم وأرزاقهم أمام القضاء. فالخطبة القضائية كما أصبحت

[1] عاشور راتب قاسم: أساليب تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، ص 193.

[2] الحوفي أحمد محمد: فن الخطابة، ص 67.

شائعة في عصرنا تعتمد بصورة خاصة النصوص القانونية المعوّل عليها والبراهين الصحيحة. وتجرى وفقا لأصول الثقافة[1].

2.2.3– غايتها: الغرض منها تمييز الحقّ من الباطل والفصل في المنازعات، ومساعدة العدالة على القصاص من الجاني، وتبرئة المتهم البريء، وحماية المجتمع من الجريمة، ولذلك يجب أن يتعاون القاضي والنائب والمحامي على إحقاق الحقّ، ونصرة المظلوم ومحاربة الجرائم.

ولخطورة الخطابة القضائية نظر إليها القدماء نظرةً فيها وَجَلٌ وتَرَدُّدُ. فمثلاً كان القدماء المصريين في بعض عصورهم يقيدون المرافعة بأن تكون مكتوبة مَخافة أن تتأثر العدالة بجلابة الخطابة.

3.3– الخطابة الحفلية:

1.3.3– تعريفها: وهي الخطب التي تلقى في حفلات التكريم لبعض الأشخاص. وقد تكون بسبب نيل شهادة تخرج، أو تقليد منصب، أو تأبين ميت، أو إحياء مآثر علماء وزعماء وهذه الخطب تصرف في الغالب إلى الناحية الجمالية لأنها لا تعتمد على الأدلة والبراهين.

2.3.3– خصائصها: يحسن أن تكون في جملتها واضحة الأفكار سهلة التعبير رقيقة معتمدة على الوسائل الخطابية وبعض المنطق ولا تكتفي الوسائل الخطابية وحدها لأن الخطبة ستنشر وتقرأ، ولا تجرى مجرى الأدلة المنطقية لأن هذا النوع في حاجة إلى فن الأدب والفكاهة.

والخطابة الحفلية أنواع ثلاثة هي:

أ) خطبة التكريم والمديح.

[1] الحاوي إليا: فن الخطابة وتطوّرها عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ط2، ج1، (د.ت)، ص 24.

ب) خطبة التأبين.

ج) الخطبة الاجتماعية[1].

4.3- الخطابة الحربية:

1.4.3- تعريفها: هي أن يدعو قائدها جنوده لإشعال عزيمتهم لإيقاد نار الحماسة فيهم ليجود بالدماء والأموال.

2.4.3- موضوعها وخصائصها: لطالما استمد السيف إلى مَضَائِه قوة من الخطابة تزيده مَضَاء. وكثير ما لجأ القادة إلى كلمة يُشعلون بها الجنود حماسة إلى الاستبسال وكثير ما كان الخطباء يشدون أزر الجيش المقاتل بما يُلقوهُ من خطب والغرض منها بعث العزيمة في نفوس الجنود وإذكاء حماستهم وبث الثقة وتهوين الموت.

والقائد يتخير الجمل القوية القصار، يلجأ إلى الخيال كثيراً يشير إلى عظمة الماضي والأمل في الحاضر، ويُمنِّي بالفوز و المجد، ويُنَفِّر من التخاذل والانكسار[2].

5.3- الخطابة الدينية:

1.5.3- تعريفها: هي الخطب التي تلقى في المساجد والكنائس والمحافل الدينية مُعتمدة التأثير على السامعين، وحثهم على الفضيلة وترك الرذيلة والزهد في متاع الدنيا. إلا أن الخطب الدينية في غالبها تقليدية تستنفد معاني مكررة، وفي كثيرة نراها تستغرق في الأبحاث والأصول الغيبية[3].

---

[1] الحاوي إليا: فن الخطابة وتطورها عند العرب، ص 25.

[2] الحوفي أحمد محمد: فن الخطابة، ص 104.

[3] الحاوي إليا: فن الخطابة وتطورها عند العرب، ص 24 - 25.

والخطبة الدينية دائماً ذات مغزى شريف وأغراض سامية نبيلة ذلك أنها تُلْفِتُ الذهن إلى الجزاء في الآخرة. وتذكر بالوقوف يوم الحساب أمام الله فهي بهذا ترفع الإنسان عن الأعراض المادية وتتسامى به إلى المعنويات[1].

2.5.3– أسباب إخفاقها: كثيراً من الخطباء الدينيين في الأديان الثلاثة لم يبرعوا في خطاباتهم للأسباب الآتية:

خطبهم ذات موضوعات عدّة، من دعوة إلى فضائل شتّى إلى تنفير من رذائل متنوعة. فتبدو كشكولاً متنوعاً وجامعاً لموضوعات عدّة مبسترة لم يدرس واحد منها دراسة كاملة ترسخ في أذهان السامعين تمتلك مشاعرهم. والخطبة الناجحة لابد أن تكون ذات موضوع واحد.

وهذه الموضوعات الكثيرة ذوات معانٍ واحدة مكررّة، وأحياناً ذوات أسلوب واحد تكرر على مسامع الناس فيملونها على أنها بموضوعاتها المتعددة ومعانيها الموحدة مختلفة عن قافلة الزمن، مبنية على الحياة الواقعية ليست فيها جِدّة، وكثيراً ما يَشْغَل الناس حدث جلل أو طارئ ويتشوقون إلى سماع كلمة الدين فيه، فإذا بهم يسمعون نغمات قديمة لا صلة لها بما يتوقون إلى سماعه.

3.5.3– كيفية النهوض بها:

إذا ما أردنا أن ننهض بالخطابة الدينية فعلينا أن نُصلح هذه العيوب بأن نجعل كل خطبة موحدة الموضوع، جديدة الأفكار والمعاني، مسايرة للحياة الواقعية، معروضة في معرض شائق رائق وأن نجملها بألوان من التنبيه والمقابلة وغيرها بحيث لا نتكلف ولا نتعسف.

[1] عبد الجليل عبد شبلي: الخطابة وإعداد الخطيب، دار الشروق، بيروت، ج1، (د.ط)، 1986م، ص 109.

ثم ليعلم الخطباء الدينيون أنهم في مسلكهم قدوة للناس ومثل، فيدين الناس بأقوالهم ووعظهم إن كانوا صالحين ولا يهتدون بوعظهم إن كانوا غير صالحين، فالخطيب الذي يُلقِي خطبته كل أسبوع مرّة ثم لا يحرص نفسه على الفضيلة يُهدم بيده مكانته. ثم إن الخطيب الديني إن لم يكن متأثراً متحمساً لما يدعو إليه فلا أثر لخطبته.

ولابد أن يكون الخطيب الديني مُثقفاً ثقافة دينية واجتماعية وتاريخية وأدبية، ليمتلك قلوب السامعين بطلاوة عباراته وحلاوة تصويره، وطرافة معانيه، وحداثة موضوعاته.

ثم لابد من إجادة الإلقاء، ومما يشير بالخير أن بعض الخطباء المعاصرين تخلوا من القيود التي انحدرت إلينا من عصور الضعف العقلي والأدبي وجددوا وتماشوا مع الحوادث وأحسنوا الإلقاء[1].

مما توصلنا إليه في نهاية هذا الفصل أن الحديث عن الخطاب الأدبي وخصوصياته كان دائماً موضع اهتمام النقاد ودارسي الأدب في كل الأزمنة وفي جميع الأمكنة فأَوْلُوهُ عناية خاصة بالدراسة وقد تطور البحث في مجال تحديد مفهوم الخطبة أو الخطاب الأدبي وتحليليه ظل هذا النشاط المعرفي مُتصل الحلقات في العقود الأخيرة، ويمكننا القول أن الخطاب الأدبي هو تحويل لغة عن لغة موجودة سلفاً وتخليصها من القيود التي تُكبلها بها الاستعمال والممارسة. فالخطاب الأدبي بهذا المعنى كيان عضوي يُحَدِّدُهُ الانسجام والاتساق وعلاقة تناسب قائمة بين أجزائه. كما استنتجنا أن دلالات الخطاب تتعدد بتعدد اتجاهات ومجالات تحليل الخطاب وعلى هذا الأساس تتداخل التعريفات أحياناً أو تتقاطع أحياناً أخرى ليُكَمل بعضها بعضاً أو تتباعد وإياهُ.

[1] المرجع السابق: ص 99 – 100.

وليؤدي الخطاب مفهومه ومدلوله كخطبة حجة الوداع لابُدّ من توافر وسائل وأدوات لتضفي عليه الاتساق والانسجام بين جميع عباراته وتناسب بين فقراته.

الفصل الثالث

خطابة النبي ﷺ

المطلب الأول: سيرة النبي ﷺ.

1- ملخص سيرته ﷺ:

ولد سيدنا محمد بن عبد المطلب بن هاشم القرشي في مكة صباح التاسع أو الثاني عشر من شهر ربيع الأول، لأول عام من حادثة الفيل، أو اليوم العشرين من شهر أبريل سنة 571م، في مهد اليتم والعدم، فقد استوفى أبوه ظمء حياته حين كان هو جنينا ولم يكد يحبو للسادسة من عمره حتى استأثر الله بأمه فحضنه جده سنتين حضانة اعزاز ومحبة، ثم أوصى به قبل وفاته إلى أبي طالب شقيق أبيه فكفله على رقة حاله وكثرة عياله ولو جرى الأمر على منهاج الطبيعة لشب محمد على أخلاق اليتامى ووعاد الجاهلية ولكن الله تولى تأديبه وتهذيبه، فكمله بالعقل الرجيح والخلق السجيج والنفس الرضية، والحياة الوقور، والحلم الرفيق، الصبر المطمئن، والصفح الجميل، ثم طهره من أرجاس الوثنية فلم يشرب الخمر ولم يأكل مما ذبح على النصب، ولم يشهد للأوثان عيدا ولا حفلا، وسمت نفسه الكبيرة على حداثتها إلى ابتغاء الرزق بحيلته وكده، فتصرف في التجارة على عادة قومه حاسرا لها عن ساقه ويده وشاعت له في الناس فضائل الصدق والحذق والأمانة، فطلبت إليه السيدة خديجة بنت خويلد إحدى عقائل القرشيين وغنياتهم أن يتجر في مالها، فسافر إلى الشام مع خادمها ميسرة فنجحت سفرته وربحت صفقته، ثم ارتد إلى مكة فهز من عطف السيدة ما رأت من جزالة الربح وأمانة الرابح فخطبته إلى نفسها، وهي في سن الأربعين وهو في حدود الخامسة والعشرين فرضي بزواجها وخطبها عمه من عمها، وكان لها من جليل الأثر في الإسلام سهم ربيح، ثم مضى الرسول يضرب في الآفاق إلى الأسواق يكسب لأهله، وينمي ثروة زوجه؛ ونفسه عازفة عن متع الحياة،

صادفه عن لذاذة العيش، فلم يطمع في ثراء ولم يطمح إلى منصب، بل كان يخلي ذرعه من صوارف الدنيا الليالي الطوال فيعتكف في غار حراء يتعبد ويتأمل، ويتجه بروحه الصافي اللطيف إلى الملأ الأعلى حتى أوحي إليه في هذا الغار بالرسالة والمعجزة وعمره يومئذ أربعون سنة قمرية وستة أشهر. فانقلب إلى زوجه مضطربا فطمأنته وقالت له: والذي نفس خديجة بيده لا يخزيك الله أبدا! إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكلّ، وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق وفتر الوحي مدة، ثم نزل على قلبه الروح الأمين بقوله تعالى: «**يَأَيُّهَا الْمُدَثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ**»* فقام بأعباء الرسالة والتبليغ ثلاث حجج في طي الخفاء. ثم أمر أن يصدع بالدعوة فعالن بقريش وسفه أحلامها، وعاب أصنامها، فكشافوه بالعداء، وقصدوه بالإيذاء، ونصبوا له الحبائل، وتربصوا به الدوائر، وهو يتلقى ذلك بجنة الصبر وعدّة الإيمان، ومن ورائه عمه أبو طالب يذود عنه ويحميه، وزوجته السيدة خديجة تواسيه وتقويه، حتى سلخ على هذه الحال الشديدة عشر سنين. وفي السنة العاشرة من رسالته فجعه الموت في ذلك العم النبيل، وفي تلك الزوجة الفاضلة في يومين متقاربين، فاشتد عليهما حزنه، وخرج بعدهما في مكة مقامه فانتوى الهجرة بالمسلمين إلى المدينة. وقد أسلم فيها كثير من الأوس والخزرج. فأحس المشركون منه هذا العزم فائتمروا به ليقتلوه ولكنه خرج ليلة اجتماعهم على قتله هو وصديقه أبو بكر إلى المدينة تكلؤهما عين لا تغفو وقوة لا يقام لها بسبيل، فبلغاها يوم الجمعة الثاني عشر (12) من شهر ربيع الأول سنة 53 من مولده، وهو يوافق اليوم الرابع وعشرين (24) من سبتمبر سنة 622م فكانت هذه الهجرة المباركة مبدأ لعلو لكلمته وانتشار دعوته وتمام نصرته.

واستمر يجاهد المشركين يجادلهم بالقرآن، ويحاربهم بالسيف، حتى انحسر العمى وانجاب الشرك، وعلمت شمس التوحيد في أفق الوجود. وحينئذ نزل قول الله تعالى: «**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا**»*.

فلم يأت على نزول هذه الآية الكريمة ثلاثة أشهر حتى مرض الرسول بالحمى ولحق ﷺ بالرفيق الأعلى يوم الاثنين 13 من ربيع الأول سنة 11 هجرية، موافق لـ 8 يونيو سنة 632 ميلادية ودفن في بيت عائشة (المسجد النبوي) بالمدينة[1].

صفته:

وصفه بعض من رآه قال: كان رسول الله ﷺ فخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أطول من المربوع وأقصر من المشذب، عظيم الهامة، رجل الشعر، إن انفرقت عقيقته فرق وإلا فلا يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفره، أزهر اللون، واسع الجبين، أزجّ الحواجب سوابغ من غير قرن، بينهما عرق يُدرَّه الغضب، أقنى العرنين له نور يعلوه، ويحسبه من يتأمله أشمَّ؛ كثَّ اللحية، أدعج، سهل الخدين، ضليع الفم، أشنب مفلج الأسنان، دقيق المِسْرُبة، كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة؛ معتدل الخلق بادناً متماسكاً سواء البطن والصدر، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الزندين، رحب الراحة، شثن الكفين والقدمين، سائل الأطراف، سَبْطَ العصب، خمصان الأخمصين، مسيح القدمين ينبو عنهما الماء. إذ زال تقلعا، ويخطو تكفؤاً، ويمشي هوناً، ذريع المشية، إذ مشى كأنما ينحط من صبب، وإذ التفت التفت جميعا، خافض

[1] الزيات أحمد حسن: تاريخ العرب، دار المعرفة، بيروت، ط1، 1428هـ.2007م، ص 129. 130.

الطرف، نظره إلى الارض أطول من نظره إلى السماء. جل نظره الملاحظة، يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام. وكان ﷺ متواصل الأحزان دائم الفكرة طويل السكوت، يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه، ويتكلم بجوامع الكلم؛ دمثا ليس بالجافي ولا المهين. إذا أشار بكفه كله، وإذا تعجب قلبّها، وإذا تحدث اتصل بها فضرب بإبهامه اليمنى راحته اليسرى، وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح غضّ طرفه. جلّ ضحكة التبسم، ويفتر عن مثل حب الغمام[1].

- وخلاصة القول أن النبي ﷺ الأمي العربي، من بني هاشم، ولد في مكة بعد وفاة أبيه عبد الله بأشهر قليلة، توفيت أمه آمنة وهو لا يزال طفلا، كفله جده عبد المطلب ثم عمه أبو طالب ورعى الغنم لزمن، تزوج من السيدة خديجة بنت خويلد، وهو في 25 من عمره، دعا الناس للإسلام أي للإيمان بالله الواحد ورسوله، بدأ دعوته في مكة فاضطهده أهلها فهاجر إلى المدينة حيث اجتمع حوله عدد من الأنصار عام 622هـ فأصبحت هذه السنة بدء التاريخ الهجري، توفي بعد أن حج حجة الوداع.

[1] المرجع السابق، ص130-131.

المطلب الثاني: فصاحة النبي ﷺ وخطبه.

1- فصاحة النبي ﷺ:

تقلب رسول الله ﷺ في أخلص قبائل منطقا أو أعذبها بيانا، فولد في بني هاشم ونشأ في قريش واسترضع في بني سعد[1]، فكان يقول ﷺ: "أنا أفصح العرب بيد أني من قريش"*، وأفصح كلام بعد القرآن الكريم كلام النبي ﷺ وهذا الكلام يقتضي أن نهتم بتعليم ابنائنا قواعد اللغة العربية[2]، فكان أفصح العرب لسانا بالفطرة وقد حدث بذلك عن نفسه فلم يزيف حديثه ولم يدفع قوله؛ وفصاحة الرسول ﷺ أشبه بالإلهام والفيض فلم يعانها ولم يتكلفها ولم يرتض لها، وإنما أسلست له الألفاظ وأسمحت له المعاني فلم يَنُدّ لسانه لفظ؛ ولم يضطرب في أسلوبه عبارة، ولم يعزب عن عمله لغة، ولم ينب عن خاطره فكرة[3]، وكان كلامه كما قال الجاحظ: "الكلام الذي قل عدد حروفه وكثر عدد معانيه وجل عن الصنعة ونزه عن التكلف استعمل المبسوط في وضع البسط، والمقصور في وضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي...إلخ، وهو كلام الذي ألقى الله المحبة عليه وغشاه بالقبول وجمع له بين المهابة والحلاوة وبين الحسن الإفهام وقلة عدد الكلام"[4]، ولا غرو الرسول ﷺ قد نشأ في أفصح القبائل. فلم ينطق إلا عن ميراث حكمه، ولم يتكلم إلا بكلام قد

---

[1] الزيات أحمد حسن: تاريخ العرب، ص131.

* أخرجه: الطبراني عن أبي سعد الخضري.

[2] النابلسي محمد راتب: السيرة –الشمائل المحمدية–، الدرس العاشر، (فصاحة النبي ﷺ)، (د،دار)، (د،ط) 2010م، ص2.

[3] الزيات أحمد حسن: تاريخ العرب، ص131.

[4] فالح جليل رشيد: خطبة حجة الوداع دراسة بلاغية تحليلية، مجلة آداب الرافدين، 13، 27-01-2007م، 09-01-1428هـ، ص407.

حف بالعصمة، وشد بالتأييد وسير بالتوفيق ثم لم يسمع الناس بكلام قط أعم نفعا، ولا أصدق ولا أسهل مخرجا، ولا أفصح من معناه ولا أبين عن فحواه من كلامه ﷺ.

2- نماذج من خطب النبي ﷺ:

يوجد للنبي ﷺ خطب، ولذلك نتتبع هذه الخطب التي اخترناها أنموذجا، حيث نبدأ بخطبة الصفا التي صدع الرسول ﷺ فيها برسالته العظيمة إلى خطبة حجة الوداع، ومررنا كذلك بأول جمعة صلاها الرسول ﷺ في المدينة، وخطبة يوم النحر ونماذج من خطب الغزوات.

1.2- خطبة الصفا: صعد النبي ﷺ الصفا فجعل ينادي:

"يا بني فهر، يا بني عدي – لبطون قريش – حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش فقال: أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ فقالوا: نعم ما جربنا عليك إلاّ صدقا، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد. قال أبو لهب: تبالك سائر هذا اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت الآية « **تبت يدآ أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب**»[1] سورة المسد الآية 1-2.

2.2- خطبة النبي ﷺ في أول جمعة صلاها بالمدينة في بني سالم بن عون ﷺ فقال: "الحمد لله أحمده وأستعينه وأستغفره وأستهديه، وأومن به ولا أكفره وأعادي من يكفره، وأشهد أن لا إله إلاّ الله، وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة؛ على فترة من الرسل وقلة من العلم، وضلاله من الناس (وانقطاع من الزمان)، ودنو من الساعة وقرب من

[1] سورة: المسد، الآية: 1-2.

الأجل، من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصمهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا، وأوصيكم بتقوى الله، فإنه خير ما أوصى به المسلم المسلم أن يحصنه على الأخلاق وأن يأمره بتقوى الله فاحذروا ما حذركم الله نفسه، ولا أفضل من ذلك نصيحة ولا أفضل من ذلك ذكرى، وإنه لتقوى لمن عمل به عز وجل وفخامة، وعون وصدق على ما تتبعون من أمر الآخرة ومن يصلح الذي بينه وبين الله من أمر السر والعلانية لا ينوي بذلك إلا وجه الله ﷻ يكن له فخرا في عاجل أمره فيما بعد الموت حين يفتقر المرء إلى ما قدم، وما كان من سوء يود لو أن بيننا وبينه أمدا بعيدا « **ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد**»[1]، هو الذي صدق بقوله وأنجز وعده، لا خلف لذلك فإنه يقول تعالى: «**وما يبدل القول لدي وما أنا بظلام للعبيد**»[2] واتقوا الله في عاجل أمركم وآجله في السر والعلانية أنه قال «**ومن يتق الله يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجرا**»[3]، وأن تقوى الله توقي مقته، وتوقي عقوبته وسخطه وأن تقوى الله تبيض الوجه، وترضي الرب وترفع الدرجة.

خذوا بحظكم؛ ولا تفرطوا في جنب الله، قد علمكم الله كتابه، ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا ويعلم الكاذبين، فأحسنوا كما أحسن الله إليكم، وعادوا أعداءه وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وسماكم المسلمين، ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حي عن بينة ولا قوة إلا بالله فأكثروا ذكر الله، واعلموا لما بعد الموت، إنه من أصلح ما بينة وبين الله يكفه ما بينه وبين الناس.

[1] سورة: آل عمران، الآية: 30.

[2] سورة: ق، الآية: 29.

[3] سورة: الطلاق، الآية: 5.

ذلك بأن الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه، ويملك من الناس ولا يملكون منه، الله أكبر ولا قوة إلا بالله العلى العظيم"[1].

3.2– خطبة يوم النّحر: خطب النبي ﷺ يوم النّحر – عاشر ذي الحجة – أيضا حين ارتفع الضحى، وهو على بغلة شهباء، وعلى يعبر عنه، والناس بين القائم والقاعد، وأعاد في خطبته هذه بعض ما كان ألقاه أمس فقد روى الشيخان عن أبي بكرة قال: خطبنا النبي ﷺ يوم النحر قال: "إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ثلاث متواليات، ذو القعدة وذي الحجة ومحرم، ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان.

وقال " أي شهر هذا ؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس ذي الحجة؟ قلنا: بلى. قال: أي بلد هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليست البلدة؟ قلنا: بلى، فأي يوم هذا؟ قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: أليس يوم النحر؟ قلنا بلى، قال: فإن دمائكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا. وستلقون ربكم، فيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا هل بلغت؟ قالوا: نعم، قال: اللهم فاشهد، فليبلغ الشاهد منكم الغائب فرب مبلغ أوعى من سامع[2].

[1] ابن الكثير: السيرة النبوية، دار المعرفة، ج2، بيروت، (د.ط)، 1406هـ، ص299.

[2] المباركفوري، صفي الرحمان: الرحيق المختوم، دار الإمام مالك، الجزائر، ط1، 1426هـ،2005م، ص 397.

4.2- نموذج من خطب الغزوات.

- خطبة فتح مكة: "إن الله حبس عن مكة الفيل وسلط عليها رسوله والمؤمنين، وإنها لن تحل لأحد كان قبلي، وإنها حلت لي ساعة من نهار، وإنها لن تحل لأحد بعدي، فلا ينفر صيدها، ولا يختلى شوكها، ولا تحل ساقطتها إلا لمنشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين إما أن يفدى وإما أن يقتل فقال العباس "إلا الاذخر يا رسول الله، فإنا نجعله في قبورنا وبيوتنا، فقال رسول الله ﷺ إلا الاذخر، فقام أبو شاه، رجل من أهل اليمن فقال: أكتبوا لي يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ اكتبوا لأبي شاه، قال الوليد فقلت للأوزاعي: ما قوله اكتبوا لي يا رسول الله ﷺ؟ قال: هذه الخطبة التي سمعها من رسول الله ﷺ[1].

[1] ثابت سعيد بن على: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، ص 36.

المطلب الثالث: تحليل خطبة حجة الوداع وخصائصها الفنية و الموضوعية:

1- خطبة حجة الوداع: لقد كانت خطبة الوداع التي تخلت شعائر الحج لقاء بين أمة ورسولها كانت لقاء توصية ووداع؛ توصية رسول الله ﷺ لأمته لخص فيها أحكام دينهم ومقاصده الأساسية في كلمة جامعة مانعة خاطب بها صحابته والأجيال من بعدهم بل خاطب البشرية عامة بعد أن أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة في أمر دينها ودنياها .... وما أروعها من ساعة تلك التي اجتمع فيها من أرسله الله رحمة للعالمين مع الجموع المؤلفة خاشعين متضرعين آذان صاغية للكلمات الوداع وكلمات من لا ينطق الهوى كلمات تجد صداها عند كل من يستمع لها لأنها تخرج من القلب إلى القلب.

ولقد ألقاها رسول الله ﷺ في حجة الوداع يوم عرفة من جبل الرحمة وقد نزل فيه الوحي مبشرا له: "اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا"[1].

نص خطبة حجة الوداع:

" الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتبوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله.

أوصيكم –عباد الله– بتقوى الله، وأحثكم على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

أمّا بعد:

أيها الناس! اسمعوا مني أبين لكم، فإني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا.

أيها الناس! إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، إلى أن تلقوا ربكم، كحرمة يومكم هذا، كحرمة شهركم هذا وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم، وقد بلغت، فمن كانت عنده أمانة، فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وان كل ربا موضوع، ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون.

[1] سورة: المائدة، الآية: 3.

قضى الله أنه لا ربا، وإن ربا عباس بن عبدالمطلب موضوع كله، وان كل دم في الجاهلية موضوع، وان أول دمائكم اضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبدالمطلب، كان مسترضعاً في بني ليث، فقتلته هذيل، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس! فإن الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه أبداً، ولكنه إن يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به، مما تحقرون من أعمالكم، فاحذروه على دينكم.

أيها الناس! إنما النسيء زيادة في الكفر، يضل به الذين كفروا، يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً، ليواطئوا عدة ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله، ويحرموا ما أحل الله، وإن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة حرم، ثلاثة متوالية ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس! اتقوا الله في النساء فإنكم إنما اخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمات الله، واستوصوا بالنساء خيراً، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهن شيئاً إلا يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع، وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا. فإن لكم على نسائكم حقاً، ولهن عليكم حقاً، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم غيركم ولا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم، ولا يأتين بفاحشة، فإن أطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

فاعقلوا أيها الناس قولي فإني قد بلغت، وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا: أمراً بيناً كتاب الله وسنة نبيه، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس! إنه لا نبي بعدي، ولا أمة بعدي، ألا فاعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم وصوموا شهركم، وأدّوا زكاة أموالكم، طيبة بها أنفسكم، وتحجون بيت ربكم، وأطيعوا أولات أموركم، تدخلوا جنة ربكم.

أيها الناس: اسمعوا قولي واعقلوه: تعلّمن أن كل مسلم أخ للمسلم، وأن المسلمين إخوة، فلا يحل لإمريء من أخيه إلا ما أعطاه على طيب نفس منه، فلا تظلمن أنفسكم وستلقون ربكم فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعضا، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

أيها الناس: إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب أكرمكم عند الله اتقاكم، وليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد"[1].

2- تحليل خطبة حجة الوداع:

إن تحليل خطبة الرسول ﷺ في حجة الوداع تفتح أمامنا أفاقا جديدة لتراثنا يستطيع بها مواكبة التغيرات المعاصرة بل وتحريكها إلى الأمام، وفي سنة 10 هجري حج رسول ﷺ بالناس للمرة الأخيرة في حياته في يوم 09 من ذي الحجة من صعيد جبل عرفة حيث خطب رسول الله ﷺ خطبته المشهورة الكاملة والمؤثرة فكان ربيعة ابن أمية من خلف يعيد أقواله ﷺ ليسمع الناس، ويقال إنه حج وعلى جملة رحل رث، وعليه قطيفة لا تساوي أربعة دراهم وهو يقول: اللهم اجعله حجا لا رياء فيه ولا سمعة.

لقد جمع ﷺ في خطبته الوعظ والمعيشة والحياة في الكلمات متناسقة روحية وتعابير ميسرة ونماذج علاجية لتكون في متناول الإنسان البسيط وبين للناس واجباتهم وحقوقهم من أجل بناء مجتمع متراص يشد المؤمن بعضه بعض ومعنى ذلك أن النبي ﷺ وضع اللمسات الأخيرة على مشروع البناء الحضاري للمسلمين حتى لا يخرجوا عن جادة الطريق فحينما يقرأ ﷺ الآية الكريمة في قوله تعالى: «اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا» يكون بذلك قد حمل المسؤولية إلى الأفراد والجماعة لأن ما ذكر في كلامه وهو الذي لا ينطق عن الهوى يعتبر بمثابة مجموعة سلسلة من المعاملات يجب أن تصل منقوشة في أذهاننا لأنها تمثل علاقة بربه ومجتمعة ستبقى مستمرة التطبيق في الزمان الإنساني إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ....

[1] المباركفوري صفي الرحمن: الرحيق المختوم، ص 375.

في تحليل نص الخطبة رسول الله ﷺ نلاحظ أن 190 لفظة أساسية استعملت في كلام النبي ﷺ كما قمنا بتقسيم الخطبة إلى تسعة وحدات وهي:

الوحدة الأولى: الاستفتاح بالحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ...الخ

الوحدة الثانية: حرمة الدماء، أما بعد: أيها الناس، اسمعوا مني أبين لكم فإني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا، أيها الناس إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.

الوحدة الثالثة: أداء الأمانة وحرمة الرباء، فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها إن ربا ربا الجاهلية موضوع ...الخ

الوحدة الرابعة: عدم طاعة الشيطان، أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعيد في أرضكم هذه ولكنه قد رضي أن يطاع في ما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم ... الخ.

الوحدة الخامسة: الإحسان في معاملة الزوجة، ويشرع في بسط موضوع يخص موقع النساء في الشريعة الإسلامية، وهو تشريع رباني عدل حكيم متزن حقا أساسه الإنصاف المتوازن بين الرجال والنساء حيث لا شريعة تثبت قدرتها على هذا الكمال المطلق في مكانة الذكر والأنثى؛ أيها الناس إن لنسائكم عليكم حقا ولكم عليهن حق ...الخ[1].

الوحدة السادسة: وجوب الأخوة، أيها الناس إنما المؤمنون إخوة ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

[1] الحاج صالح عبد الرحمان: مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 14، السنة 7، (د.ط)، 1433هـ-2011م، ص184.

الوحدة السابعة: وجوب التمسك بكتاب الله تعالى فلا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض فإني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به فلن تضلوا بعدي، كتاب الله وسنة نبيه ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد.

الوحدة الثامنة: أيها الناس، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد كلكم لآدم وآدم من تراب إن أكرمكم عند الله أتقاكم، وليس لعربي على عجمي إلا بالتقوى ألا هل بلغت، اللهم فاشهد فليبلغ الشاهد منكم الغائب.

- ويمكن تقسيم هذه الخطبة إلى عوامل أو قضايا وتتمثل فيما يلي:

العامل الأول: الممثل بلفظ الجلالة ووحداته ووجود الله هنا يوجهنا رسول الله ﷺ نحو مبدأ تحكم العقل، ومعنى ذلك أنه يحثنا على ربط العامل المادي بخالق الكون.

العامل الثاني: يوضح لنا أهمية يوم خلق السموات والأرض ويوضح لنا الألفاظ المرتبطة ببداية الكون مثل الصلوات وعدة الشهور وغيرها.

العامل الثالث: عامل الوصية حيث نجد النبي ﷺ يوصي الناس بتأدية واجب الإرث على أحسن ما يرام.

العامل الرابع: يأتي العامل الرابع يوضح لنا أن رسول الله ﷺ لم يغفل عن قضية المرأة وحقوقها إذ تعتبر في الدين الإسلامي العمود الفقري لتقدم المجتمع.

العامل الخامس: عامل الوداع فهذا العامل يعتبر عامل توديع رسول الله ﷺ أمته والانتقال إلى الدار الأخرة.

وخلاصة القول في العام العاشر للهجرة أذن ﷺ في الناس إنه ذاهب للحج، في هذا العام قدم المدينة خلق كثير تجاوزا للمائة ألف مسلم كلهم يريدوا أن يأتمّوا برسول الله ﷺ ويعمل مثل عمله، فخرج ﷺ من المدينة في 25 من ذي القعدة وأحرم بالحج والعمرة من ذي الحليفة ثم مضى رسول الله ﷺ في حجة فعلم الناس مناسكهم وبيّن لهم سنن حجهم وألقى رسول الله ﷺ في يوم عرفة خطبة جامعة في جموع المسلمين مقررا فيها قواعد الإسلام وشرائعه، وبعد أداء النبي ﷺ لمناسك الحج عاد إلى المدينة ليستعد للقاء ربه بعد أن بلغ الرسالة وأدى الأمانة وتصح الأمة وكشف به الله الغمة وأخرج أمته من الظلمات إلى النور.

3- الخصائص الموضوعية والفنية:

1.3- الخصائص الموضوعية[1]:

- تضمنت خطبة حجة الوداع كثيرا من التشريعات والتعاليم، وانطوت على الترغيب والترهيب والكلام على ما للمسلم اتجاه أخيه المسلم، ونظمت علاقة الفرد بمجتمعه.

لقد أيد النبي ﷺ دعوته بالخطابة، وهي بطبيعتها مسرح للإطالة والإسهاب وأكثر استيعابا للفكرة والتشريع والتعليم من فنون الأدب الأخرى، لذلك حملت القيم والتشريعات الجديدة، وعدت هذه الخطبة فرضا من فروض الإسلام، وشرطا من شروط العبادات ودستورا ناظما عالج أمورا جوهرية، ومشكلات في المجتمع الجديد وبدء الخطبة بالحمد والشكر أمر يشيد

[1] ابن هشام: السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، 1975م، ص290/2.

انتباه السامع، ويؤثر فيه بشكل أكبر، ومن عوامل زيادة التأثير في السامع ذكر أن هذه الخطبة ربما تكون في آخر عام له يخطب بالمسلمين.

- تعد هذه الخطبة دينية إضافة إلى كونها دستورا ناظما لحياة المسلمين ويعد الدين الجديد من أهم أسباب الازدهار الخطابة في صدر الإسلام وتمثل هذه الخطبة ثورة فكرية على العقلية الجاهلية لا ثروة سياسية فقط.
- أسلم الكثير من العرب في عام الوفود، وكانت حجة الوداع في العام التالي، فكانت هذه الخطبة التي هدفت إلى البحث في المشكلات المستعصية في المجتمع الإسلامي، وإيجاد الدواء الناجح لكل داء واعتمد النبي ﷺ على الإقناع والتبشير والوعظ فذكر مجموعة من أصول الدين، ومبادئه السامية وهي:
  - حق النفس في الحياة وتحريم إزهاق الروح،
  - حق حفظ الأمانة، وردها إلى أصحابها،
  - حق تملك المال وحرمة اغتصابه،
  - حق المرأة،
  - حق المساواة المسلمين أمام الله، لاتحادهم أمام الخالق (المؤمنون إخوة).

2.3- الخصائص الفنية:

أ- أن اللغة فقد راعت مستوى المخاطبين من جهة وضوح العبارة فأتت اللّغة تشريعية وعظية، لذلك كثر في الخطبة أسلوب التوضيح والتفصيل في بعض الموضوعات، والتدقيق، وكثرة الإنشاء المتمثل في النهي والأمر، ويحيل هذان الأمران إلى وظيفة وعظية[1].

ب- النظام الإعلامي من الجاهلية إلى الإسلام: أن الإسلام نظام متكامل يقوم على أسس ثابتة ومبادئ محددة بوضوح يفهمها العامة ويجد فيها المتخصصون مجالات للتعمق والتأمل في إطار، والعام للأمة يتكون من عدة أجزاء ويمكن اعتبار كل جزء منه نظاما فرعيا في حد ذاته، وهو النظام العام للأمة الذي أعلن الرسول ﷺ استقلالية على النظام الجاهلي.

ج- أسلوب التكرار: ويظهر هذا الأسلوب في خطبة الرسول ﷺ في اليوم التالي لخطبة حجة الوداع فقد كرر ﷺ كثيرا من مضامين خطبة حجة الوداع في خطبة يوم النحر، حيث جاء فيها عن أبي بكر عن أبيه ذكر: أن النبي ﷺ قعد على بعيرة وأمسك الانسان بخطامه أو بزمامه، وللتكرار أهمية بالغة باعتباره يحقق الأهداف التالية:

- جذب الانتباه المستقبل للرسالة الإعلامية ليقبل بعقله وحواسه لتلقي الرسالة وليبتعد في نفس الوقت عن مختلف عوامل التشويش التي تؤثر على فاعلية العملية الإعلامية،
- التأكيد على أهمية الرسالة وقيمها وضرورة استيعابها وحفظها.

[1] الجاحظ عمرو بن بحر: الحيوان، المجمع العربي الإسلامي، بيروت، ط3، 1969م، ص335/1.

د– أسلوب الإخبار: من المعروف في العمل الإعلامي أهمية الخبر في التوجيه وبناء الرأي العام، ومن الثابت في الدراسات الإعلامية أن الوظيفة الإخبارية من أهم وظائف الإعلام والاتصال بالجماهير.

هـ– أسلوب الحوار والتساؤل: ويظهر هذا الأسلوب في خطبة حجة الوداع وهذا الأسلوب الحواري له تأثير في العملية الإعلامية لم يحدث من القرب النفسي بين القائم بالاتصال والمتلقي وتتمثل الخطبة في الجنوح إلى الأسلوب الإنشائي المعتمد على التعجب والأمر والنهي والتكرار والقسم .... وفي جزالة اللفظ، وفصاحة العبارة وقصر الفقرات[1].

و– أن الخطبة مختلفة في أسلوبها، لأنها مختلفة في موضوعها، فالبحث في الحلال والحرام والقتل والربا وحق المرأة يحتاج إلى أسلوب بسيط، بعيد عن التزيين اللفظي، وهذا ما يفسر قلة السجع، وتصنف بعض المواضع التي تحتوي على سجع نزعة جمالية مميزة، إذ يقوم السجع في النثر مقام الوزن في الشعر، فيسهل حفظه مثل «إن لنسائكم عليكم حقا، وإن لكم عليهن حقا ألا تواطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم»، وتتجلى في هذه العبارة جمالية نغمية خاصة الولد للفراش وللعاهر الحجر[2].

[1] ثابت سعيد بن على: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ، ص110–111.
[2] الجاحظ عمرو بن بحر: الحيوان، ص 335/1.

مما سبق ذكره نستنتج أن خطابة النبي ﷺ تفتح أمامنا آفاقا حضارية جديدة لتراثنا، ويستطيع بها مواكبة التغيرات المعاصرة، بل وتحريكها إلى الأمام، ولقد أجمع النبي ﷺ في خطبته الوعظ والمعيشة والحياة في كلمات متناسقة روحية وتعابير ميسرة ونماذج علاجية لتكون في متناول الانسان البسيط، وبيّنَ للناس واجباتهم وحقوقهم من أجل بناء مجتمع متراص يشد المؤمن بعضه بعضا بسبب الاتساق الذي ربط بين الأفكار في بنية الخطبة والانسجام أيضا لعب دورا هاما في بنية الكلمة داخل الخطبة.

وأن بناء الخطبة وانسجامها يرتكز على مجموعة نصية تحقق تكاملها وتلاحمها مع أبنيتها الجزئية.

الفصل الرابع

أدوات الاتساق ووسائل الانسجام

في خُطبة حجة الوداع

المطلب الأول: أدوات الاتساق في خُطبة حجة الوداع:

بما أن الخُطبة نص وككل نص يحتاج إلى أدوات لتماسكه فلابد من وآليات الاتساق والانسجام لتماسك عناصره، وتسلسل فقراته، ومن خلال الجانب النظري الذي تطرقنا فيه إلى أدوات الاتساق ووسائل الانسجام، يمكننا دراسة تطبيقية لهذه الآليات في الخُطبة، ولنبدأ بالاتساق وبدايةً بالإحالة.

1.4-الإحالة:

تعتبر الإحالة من أبرز أدوات التماسك النصي؛ ذلك أن العناصر المحيلة غير مكتفية في ذاتها بل يتم معناها عند ربطها بما تحيل إليه[1]، وبالتالي يكون تحليل خُطبة حجة الوداع من خلال الإحالة كالتالي:

الإحالة	العنصر المحيل	نوع الإحالة	المحال إليه
01	الضمير "الهاء" في "نحمده".	قبلية نصية.	لفظ الجلالة "الله".
02	الضمير "الهاء" في "نستعينه".	قبلية نصية.	لفظ الجلالة "الله".
03	الضمير "الهاء" في "نستغفره".	قبلية نصية.	لفظ الجلالة "الله".
04	"نتوب إليه".	قبلية نصية.	لفظ الجلالة "الله".
05	الضمير "نا" في "سيئات أعمالنا".	مقامية.	المتكلم.
06	الضمير "نا" في "أنفسنا".	مقامية.	المتكلم.
07	الضمير "الهاء" في "له".	نصية قبلية.	من.
08	الضمير "الهاء" في "له".	نصية قبلية.	من.
09	الضمير "الهاء" في "وحده".	نصية قبلية.	الله.
10	الضمير "الهاء" في "له".	قبلية نصية.	الله.
11	الضمير "الهاء" في "عبده ورسوله".	قبلية نصية.	الله.
12	الضمير "كم" في "أوصيكم".	بعدية نصية.	عباد الله.

[1] ينظر: الأزهر الزناد، نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. المغرب، 1993م، ص188.

13	الضمير "كم" في "أحثكم على طاعته".	قبلية نصية.	عباد الله.
14	الضمائر في "اسمعوا مني أبين لكم".	قبلية نصية.	عباد الله.
15	أسماء الإشارة في "لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا في موقفي هذا".	مقامية.	.المتكلم. .المخاطب. .المكان والزمان.
16	ضمائر "كم" في "دماءكم وأموالكم تلقوا ربكم".	قبلية نصية.	الناس.
17	أسماء الاشارة في "حرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا".	مقامية.	.المخاطبون. .ذي الحجة. .البيت الحرام
18	الضمائر "كم" في "ستلقون ربكم يسألكم عن أعمالكم".	قبلية نصية.	الناس.
19	ضمير "الهاء" في "فليؤدها".	قبلية نصية.	الأمانة.
20	ضمير "الهاء" في "عنده".	مقامية نصية.	المخاطبون.
21	أول دمائكم.	قبلية نصية.	عباد الله.
22	ضمير "الهاء" في "قتله".	قبلية نصية.	ابن ربيعة، ابن حارث، بن عبد المطلب.
23	اسم إشارة في "أن يعبد بأرضكم هذه أبدا".	قبلية نصية.	أرضكم.
24	ضمير "الهاء" في "لكنه".	بعدية نصية.	الشيطان.
25	اسم إشارة في "يطع فيما سوى ذلك فقد رضي به".	بعدية نصية.	يعبد بأرضكم.
26	ضمير الغائب في "هن".	بعدية نصية.	النساء.
27	الضمير في "أحدا تكرهون".	بعدية نصية.	كافر.

28	الضمير "كم" في "أطعناكم".	قبلية نصية.	الناس.
29	يأتين بفاحشة.	قبلية نصية.	النساء.
30	الضمير "الهاء" في "كهيئته".	قبلية نصية.	الزمان.
31	اسم الإشارة في "رجب .. الذي بين جمادى وشعبان".	قبلية نصية.	رجب.
32	ضمير الغائب في "لا يملكن لأنفسهن".	بعدية مقامية.	النساء.
33	ضمير الغائب في "اهجروهن".	بعدية مقامية.	النساء.
34	ضمير الغائب في "اضربوهن".	بعدية مقامية.	النساء.
35	ضمير "كم" في "أطعنكم".	بعدية مقامية.	النساء.
36	تبغوا	قبلية نصية.	الناس.
37	ضمير الغائب في "عليهن".	قبلية نصية.	النساء.
38	ضمير "كم" في "لكم، نسائكم، حقكم".	قبلية نصية.	الرجال.
39	ضمير الغائب في "رزقهن وكسوتهن".	قبلية نصية.	النساء.
40	ضمير "التاء" في "تركت".	قبلية مقامية نصية.	المتكلم النبي ﷺ.
41	ضمير "الهاء" في "به".	قبلية نصية.	كتاب الله وسنة نبيه.
42	ضمير " الهاء" في "به".	قبلية نصية.	النبي ﷺ.
43	بعدي.	قبلية نصية.	النبي ﷺ.
44	ضمير "كم" في "أمة بعدكم أعبدوا ربكم، صلوا خمسكم، صوموا شهركم، أدوا زكاة أموالكم".	قبلية نصية.	عباد الله.
45	ضمير المخاطب في "اسمعوا".	قبلية نصية.	الناس.
46	ضمير المتكلم في "قولي"	مقامية.	المتكلم النبي ﷺ.
47	ضمير المخاطب "أنتم" في "اعقلوه".	قبلية نصية.	المستمعين (الناس).

48	ضمير الغائب "هو" في "المسلمين إخوة".	قبلية مقامية.	المسلمون.
49	ضمير الغائب "هو" في "لا يحل لإمريء".	قبلية مقامية.	المسلم.
50	ضمير " الهاء" في "أخيه".	قبلية مقامية.	المسلم.
51	ضمير " الهاء" في "منه".	قبلية مقامية.	المسلم.
52	ضمير "كم" في "أنفسكم".	قبلية نصية.	الناس.
53	ضمير الغائب "هو" في "اللهم بلغت".	قبلية نصية.	النبي ﷺ.
54	ضمير المخاطب "أنتم" في "ستلقون ربكم".	قبلية نصية.	المستمعين (الناس).
55	ضمير المخاطب "أنتم" في "ترجعن بعدي كفارا"	قبلية نصية.	المستمعين (الناس).
56	ضمير "كم" في "يضرب بعضكم".	قبلية نصية.	الناس.
57	ضمير "كم" في "إن ربكم واحد".	قبلية نصية.	المستمعين.
58	ضمير "كم" في "إن أباكم واحد".	قبلية نصية.	المستمعين
59	ضمير "كم" في "أكرمكم".	قبلية نصية.	الناس.
60	واحد	بعدية مقامية.	الله.
61	ضمير "كم" في "أنفسكم".	قبلية نصية.	الناس.

من الجدول نلاحظ أن الإحالة متنوعة بين الإحالة الداخلية النصية التي ربطت أجزاء النص شكلياً ودلالياً.

الإحالة الخارجية: وهي إحالة تحيل الي خارج النص أو إحالة مقامية وقد تكون مقامية نصية أيضاً بين العبارات والجمل.

كما نلاحظ غلبة الإحالة الضميرية المناسبة لطبيعة الخطبة، ذلك أن الضمائر كما يرى الأزهر الزناد إذا نظرنا إليها من زاوية التماسك، أمكن التمييز فيها بين أدوار الكلام التي تندرج تحتها جميع

الضمائر الدالة على المتكلم، وقد ساهمت الضمائر في تشكيل المعنى الكلي للخطبة من خلال تموضعها داخلها وعلاقة المرجعية التي تحملها في كل موضع لأقطاب معينة ترتكز عليها الخطبة، وتجعلها حاضرة مستمرة مشكلة الدلالة العامة.

بالإضافة إلى غلبة الضمائر المتصلة على الضمائر المنفصلة.

أ– الضمائر المتصلة: وهي التي لا تنفك على اتصالها بالكلمة وهي على نوعين مستترة وبارزة، وقد وجدناها مختلفة الاتصال في جميع المواضع (مع الأفعال أو الأسماء أو الحروف).

ب– الضمائر المنفصلة: هي التي جرت مجرى المظهر عند استبدالها.

ج– ومما يظهر لنا أيضاً غلبة الضمائر المخاطبة على الضمائر الأخرى ذلك أن طبيعة النص المدروس هو نص خطابي يوجه نصائح وإرشاد للسامعين، ومنه نلاحظ ظهور صفة الاستمرارية الدلالية والشكلية في هذه المواضع عن طريق المرجعية التي حققتها الضمائر بواسطة إبرازها لأحداث حاملة للمعاني، وبالتالي مساهمتها في تشكيل بنية الموضوع الكلية.

والخلاصة أن هذه الإحالات قد ربطت بين أجزاء النص في داخله وما ذكر فيه، كما ربطت بين النص وواقعة المحيط به من متكلم ومخاطب وما هو في الواقع مما يتعلق بموضوع الكلام.

أ–رصد النسب المئوية لعنصر الإحالة من خلال استعمالها في خطبة حجة الوداع:

ولرصد النسب المئوية لعنصر اتساق ما نتبع الطريقة التالية:

$$\text{نسبة تكرار نوع ما} = \frac{\text{عدة مرات تكرار الآلية الواحدة في الخطبة} \times 100}{\text{عدد تكرار العنصر الاتساقي المقصود بمختلف أنواعه}}$$

بداية بالإحالة:

لدينا: عدد تكرار عنصر الإحالة: 61، وعدد مرات تكرار الإحالة الضميرية القبلية النصية: 39.

ومنه فإن: 61 ⟵ 100

39 ⟵ ؟

نجد: $؟= \frac{100\times39}{61} = 63.39443$

وبهذه الطريقة يمكننا الوصول إلى النتائج التالية:

نوع الإحالة	عدد استعمالها في الخطبة	نسبة استعمالها
قبلية نصية	39	%63.39
مقامية	11	%18.03
بعدية نصية	4	%6.56
بعدية مقامية	5	%8.19
إشارية قبلية نصية	1	%1.63
إشارية بعدية نصية	1	%1.63

ب–تحليل وتفسير النتائج الخاصة بالإحالة والتعليق عليها:

بعد دراسة النتائج الخاصة بعنصر الإحالة وتطبيق العملية الإحصائية لها من خلال رصد النسب المئوية لاحظنا ما يلي:

كثر في خطبة حجة الوداع استعمال العنصر الاتساقي في "الإحالة" بنوعيها –النصية والمقامية. وغلب على الخطبة الإحالة النصية بنسبة (63.39%) على الإحالة المقامية بنسبة (18.03%)، ويرجع ذلك إلى أن الإحالة النصية تسهم في بناء النص بشكل كبير من حيث أنها تربط عناصر

النص شكلاً ومضموناً، أي تجعل من النص كلاً متكاملاً من جانب الاتساق أكثر وتعطيه أهمية مقارنة بالجانب الشكلي.

وبالتالي لو شملت الإحالة المقامية على النص (الخطبة) لكان هذا النص رديئاً شكلياً، وبذلك يصبح خالياً من النحوية، وبهذه الطريقة يفقد النص نصيته وأدبيته، كما ان هذا لا ينفي وجود الإحالة المقامية، ولكن يقتضي وجودها بنسبة معينة في كل نص بحسب حاجة الموضوع.

وقد حضرت الإحالة المقامية في هذه الخطبة من باب ربط القارئ بالظرف الذي هو بصدده الرسول ﷺ، إذ أنه يرشد ويوجه عباده المؤمنين ويوصيهم بعبادة الله في مناسبة الحج، وقد كان هذا المقام يستدعي إلى تأثر واستجابة الناس لما يدعوهم به رسولهم.

كما أن النتائج أظهرت أن الإحالة النصية القبلية أخذت نسبة (63.39%) أكبر من الإحالة النصية البعدية بنسبة (6.55%) وهذا راجع كوْن الأسلوب العربي في الغالب يعود على سابق ما قد ذكر، ونادراً ما يعود على لاحق ذكره، وهذا ما يتطلبه الضمير، وقد أثبتت غلبة الإحالة الضميرية المناسبة لمقام الخطبة، والتي ساهمت بشكل كبير في تشكيل المعنى الكلي للخطبة من خلال كثرة ذكرها بشكل متكرّر ممّا دعا إلى اتساق الخطبة.

بينما ظهرت الإشارة بنوعيها القبلية بنسبة (1.63%) والبعدية ضعيفة بنسبة (1.63%).

واستنتاجاً منا نجد أن الإحالة تعد أبرز أداة تسهم بدور فعّال في عملية التماسك النصي، ذلك أنها تربط بين أجزاء الخطبة بعضها ببعض، كما أنها تعد من أهم المفاتيح للولوج إلى بنية الخطبة.

2.4- الوصل (الربط):

الأداة الرابطة	نوع الرابط	كيفية الربط
الواو: ونستعينه، ونستغفره، ونتوب اليه، ونعوذ بالله.	ربط المفردات وهو ربط زمني.	علاقة الجمع بالواو بين جمل متتالية.
الواو: من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا.	ربط الجمل ربط إضافي.	علاقة الجمع بالواو والرابطة بين الجملتين المتتاليتين.
الواو: من يهد الله ومن يضلل الله.	ربط الجمل ربط زمني.	علاقة الجمع بالواو بين والرابطة بين الجملتين المتتاليتين.
الفاء: من يهد الله فلا مضل له.	ربط الجمل رابط سببي.	علاقة سببية بالفاء بين جملتين متتاليتين.
الفاء: من يضلل فلا هادي له.	ربط الجمل رابط سببي.	علاقة سببية بالفاء بين جملتين متتاليتين.
الواو: عبده ورسوله.	ربط المفردات ربط إضافي.	علاقة ربط بين كلمتي (عبده ورسوله).
الواو: تقوى الله وأحثكم على طاعته وأستفتح بالذي هو	ربط الجمل ربط زمني.	علاقة الجمع بالواو المتكررة مرتين بين جملتين متتاليتين.

خير.		
الواو: إن دماءكم وأموالكم.	ربط المفردات ربط إضافي.	علاقة الجمع بالواو بين جملتين متتاليتين.
الفاء: وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم.	ربط الجمل ربط سببي.	علاقة سببية بين جملتين متتاليتين.
الفاء: من كانت عنده أمانة فليؤدها.	ربط الجمل ربط سببي.	علاقة استئنافية.
الواو: ألا وإن كل شيء من أمر الجاهلية موضوع، ودماء الجاهلية، وإن ربا الجاهلية.	ربط جمل ربط إضافي.	علاقة ربط بين ثلاث جمل متتالية بالواو.
الواو: وإن ربا الجاهلية موضوع، ولكن لكم...	ربط الجمل ربط سببي ربط عكسي.	علاقة جمع بين جملتين متتاليتين بلكن.
الواو: قضى الله أنه لا ربا وأن أول ربا.	ربط جمل ربط إضافي.	علاقة جمع بين جملتين متتاليتين بالواو.
الواو: من أن يُعبد بأرضكم هذه أبداً ولكنه.	ربط جمل ربط عكسي.	علاقة جمع بين جملتين متتاليتين.

الواو: السموات والأرض.	ربط مفردات ربط إضافي.	علاقة جمع بالواو الواقعة بين (السموات والأرض).
الواو: بين جمادى وشعبان.	ربط مفردات وربط إضافي.	علاقة جمع بالواو الواقعة بين جمادى وشعبان.
الواو: أخذتموهن واستحللتم.	ربط الجمل ربط زمني.	علاقة الجمع.
الفاء: واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن.	ربط جمل ربط زمني.	علاقة سببية بين جملتين متتاليتين.
الواو: إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم.	ربط جمل ربط إضافي.	علاقة جمع بين جملتين متتاليتين بالواو.
الفاء: فإن أطعنكم فعليكم.	ربط مفردات.	علاقة جمع بين جملتين متتاليتين.
الواو: رزقهن وكسوتهن.	ربط مفردات ربط إضافي.	علاقة جمع بين مفردات.
الفاء: وقد تركت فيكم... فلن تضلوا.	ربط جمل ربط سببي.	علاقة جمع بين جملتين متتاليتين.
الواو: كتاب الله وسنة نبيه.	ربط مفردات ربط إضافي.	علاقة جمع بين جملتين متتاليتين.

الـواو: لا نبـي بعـدي ولا أمـة بعدي.	ربط عبارات ربط إضافي.	علاقـــة جمـــع بـــين جملتـــين متتاليتين.
الواو: وصلوا خمسكم.	ربط عبارات ربط زمني.	علاقـــة جمـــع بـــين جملتـــين متتاليتين.
الـــواو: وصـوموا شـهركم وأدوا زكاة أموالكم.	ربط عبارات ربط زمني.	علاقـــة ترتيـــب بـــين جملتـــين متتاليتين.
الـواو: وتحجـون بيـت ربكـم، وأطيعوا.	ربط عبارات ربط زمني.	علاقة ترتيب بين جمل متتالية.
الواو: اسمعوا قولي واعقلوه.	ربط عبارات ربط زمني.	علاقـــة ترتيـــب بـــين جملتـــين متتاليتين.
الـواو: كـل مسـلم أخ المسـلم، وأن المسلمين.	ربط جمل ربط ضافي.	علاقـــة جمـــع بـــين جملتـــين متتاليتين.
الواو: وستلقون.	ربط جمل ربط زمني.	علاقـــة جمـــع بـــين جملتـــين متتاليتين.
الفـــاء: وســتلقون ربكـــم فـــلا ترجعن.	ربط عبارات ربط سببي.	علاقـــة جمـــع بـــين جملتـــين متتاليتين.
الـــواو: إن ربكـــم واحـــد وإن	ربط جمل ربط إضافي.	علاقـــة جمـــع بـــين جملتـــين

أباكم واحد.		متتاليتين.
الـواو: كلكـم لآدم وآدم مـن تراب	ربط جمل ربط إضافي.	علاقة جمع بين جمل متتالية.
الـواو: وإن أكـرمكم... ولـيس لعربي.	ربط جمل ربط إضافي.	علاقـة جمـع بـين جملتـين متتاليتين.

- نلاحظ أن العطف ساهم في التماسك الشكلي لجميع المواضع يجمع الجمل الحاملة لنفس المعنى مع بعضها البعض، أو الحاملة للعلاقات الدلالية فيما بينها مثل: السبب/ النتيجة... وغيرها.
- ومن الملاحظ أن ربط الجمل والمفردات بـ (أو، حتى، أم، ثم) غير واردة في الخطبة، وكذلك (لكن) لم يرد في مواضع كثيرة إلا قليلا.
- كما توصلنا إلى نتيجة جزئية تمثل في أن خطبة الوداع تتمتع باتساق قوي بين أجزائها بفضل توافر جملة من الأدوات النحوية المؤدية لوظيفة الربط، حيث تم بين أغلب عناصر الخطبة بأداة "الواو".

أ- رصد النسب المئوية لاستعمال عنصر الوصل في خطبة حجة الوداع:

نوع الوصل	عدد استعماله	نسبة استعماله المئوية
الوصل الإضافي	23	%40.35
الوصل السببي	10	%17.54

الوصل العكسي	2	%3.51
الوصل الزمني	22	%38.60

مثال: الوصل الإضافي: لدينا عدد الوصل 57 حالة.

ومنه يكون: $\frac{23\times100}{57}$ =40.35 = ؟

ب- تحليل وتفسير النتائج الخاصة بالوصل:

من خلال النتائج الخاصة بعنصر الوصل وخصوصا من خلال الدراسة الإحصائية المتمثل في النسب المئوية:

نجد الوصل الإضافي من أهم أنواع الوصل في خطبة حجّة الوداع، نجد حيث شمل كل الخُطبة، ويبلغ عدد حالات الوصل وأنواعه كالآتي:

- تم الحصول على 23 حالة بالنسبة للوصل الإضافي؛ أي ما يعادل نسبة 40.35%.
- تم الحصول على 10 حالة بالنسبة للوصل السببي؛ أي ما يعادل نسبة 17.54%.
- تم الحصول على 02 حالة بالنسبة للوصل العكسي؛ أي ما يعادل نسبة 3.51%.
- تم الحصول على 22 حالة بالنسبة للوصل الزمني؛ أي ما يعادل نسبة 38.60%.

وتوصلنا إلى نتيجة جزئية في أن خطبة حجة الوداع تتمتع بكم هائل من أدوات الربط والتي أغلبها الأداة "الواو".

وقد ساهمت في اتساق الخُطبة بين أجزائها بفضل توافرها.

3.4- التكرار:

ظهر جليا في عدة مواضع نذكر منها:

- أيها الناس!: اسم إشارة "هذا" في: "يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا".
- تكرار الفعل "بلغت".
- تكرار الاسم: "الجاهلية" و"موضوع" وكلمة "الربا" وكلمة "ماء الجاهلية"، ولفظة "النساء".
- كذلك في الجملة الفعلية "يأتين بفاحشة مبينة".
- تكرار لفظة واحدة "ربكم"، "آدم".
- وكذلك في الجملة الاسمية "اللَّهم فاشهد".

- وقد أفاد تكرار بعض الكلمات والجمل الفعلية والاسمية، في التذكير من حين لآخر، ليحدث تفاعلا واستجابة لدى السامعين، وقد أدى وظيفة التنبيه والتحذير من خلال تكرار "ألا هل بلغت"، "اللَّهم فاشهد"، "ربكم"...الخ.
- تكرار لفظة "أيها الناس" الدالة على المخاطبة وإعلام المستمعين بأخبار معينة ولفت انتباه السامعين وأيضاً تكرار لفظ الجلالة "الله" في هذه الخطبة يوضح من خلالها النبي ﷺ إسناد الأمور إليه مثل: الاستعانة به في جميع الأمور وعلمه وقدرته على كل شيء وأنه السميع العليم وأن له الفضل على العباد، وهو المستحق الوحيد والألوهية والوجدانية.

كذلك تكرار الضمائر المتصلة العائدة على الناس.

ومن هذا يظهر دور التكرار في الاتساق النصي في هذه الخُطبة حيث نستنتج أن التكرار قد أسهم في تحقيق الاتساق والتماسك بين أجزائها وهذا عبر الأنماط التالية:

- التكرار الكامل: أي كلمة أو لفظة تكررت عدة مرات.
- التكرار بالإحالة في ضمائر المخاطب "أي تسهم الضمائر في ربط العبارات والجمل عبر مرجعية معينة، وهي ضمائر متصلة"
- الترادف: أي نجد كلمة في عبارة واحدة ولها مرادفاتها في نفس العبارة أو جملة أخرى.

أ- تحليل الخطبة من خلال عنصر التكرار:

عدد التكرار	الكلمة المكررة	موضع التكرار	نوعه
17	لفظ "الله".	عباد الله، تقوى الله...	اسمي.
07	لفظة "الناس".	يا أيها "الناس".	اسمي.
03	لفظة "ربا".	إن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس.	اسمي.
06	لفظة "دم".	وإن أول دم كان... أضع دم ابن ربيعة.	اسمي.
05	لفظة "الجاهلية".	من أمر الجاهلية و "دماء الجاهلية".	اسمي.
03	لفظة "شهر".	إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً.	اسمي.
07	لفظة "ربكم".	ستلقون ربكم.	اسمي.
03	لفظة "حق".	إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً فأما حقكم على نسائكم.	اسمي

05	لفظة "بلغت".	ألا هل بلغت، قد بلّغت.	فعلى.
04	لفظة "حرم".	... عدة ما حرم الله، فيحلون ما حرم الله.	فعلى.
04	لفظة "يظل".	ومن يظلل فلا هادي له، إنما النسيء زيادة في الكفر يظل به الذين كفروا.	فعلى.
04	لفظة "يحل".	يحلونه عاما، فيحلون ما حرم الله.	فعلى.
05	لفظة "النساء".	واستوصوا بالنساء خيراً، اتقوا الله في النساء	اسمي
05	اسم إشارة "هذا".	في يومكم هذا في شهركم هذا.	اسمي.
03	لفظة "نفس".	لا يملكن لأنفسهن شيئاً، طيب نفس به.	اسمي.
03	لفظة "اللهم".	اللَّهم فاشهد.	اسمي.
03	لفظة "أخ".	المسلم أخ المسلم، مال أخيه.	اسمي.

ب- رصد النسب المئوية لاستعمال عنصر التكرار في خطبة حجة الوداع:

لدينا: عدد تكرار عنصر التكرار = 98.

ومنه يكون: 98 ⟵ 100

؟ ⟵ 74

$$؟ = \frac{74 \times 100}{98} = 75.51\%$$

وبهذه الطريقة يمكننا الوصول للنتائج التالية:

نوع التكرار	عدد استعمالها في الخطبة	نسبة استعمالها
اسمي	74	%75.51
فعلى	17	% 17.35
جملة اسمية	07	% 7.14
جملة فعلية	00	% 0

ج- تحليل وتفسير عنصر التكرار:

- لقد هيمن التكرار الاسمي على خطبة حجة الوداع ويبدو هذا واضحا من خلال الشواهد المقدمة:
- قد تم الحصول على 74 حالة بواسطة التكرار الاسمي من 98 أي بنسبة (75.51%)، وقد ورد بنسبة أكبر من التكرار الفعلي الذي هو بنسبة (17.35%).
- غياب تكرار الجمل الفعلية (0%)، و07 حالات لتكرار الجملة الاسمية أي نسبة (7.14%).

4.4- الحذف:

رقم المثال	الحذف	نوعه	التقدير
01	لا ألقاكم	حذف فعلى	لعلى لا ألقاكم بعد عامي هذا، ولا ألقاكم في موقفي هذا

02	أن تلقوا ربكم	حذف جملة فعلية	أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، وأن تلقوا ربكم كحرمة شهركم هذا، وأن تلقوا ربكم كحرمة بلدكم هذا.
03	خلق	حـــــذف فعلى	يوم خلق الله السموات وخلق الأرض.
04	حقكم على نسائكم	حذف جملة إسمية	فلا يوطئن فرشكم غيركم وحقكم على نسائكم لا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم وحقكم على نسائكم لا يأتين بفاحشة.
05	أيها الناس	حذف جملة اسمية	أيها الناس إنه لا نبي بعدي. أيها الناس ولا أمة بعدكم. أيها الناس ألا فاعبدوا ربكم. أيها الناس صلوا خمسكم. أيها الناس صوموا شهركم. أيها الناس أدوا زكاة أموالكم طيبة بها أنفسكم. أيها الناس أولات أمركم تدخلون جنة ربكم.
06	أشهر	حـــــذف اسمي	إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة أشهر حرم ثلاثة أشهر متوالية وشهر رجب مضر الذي

			بين شهر جمادى وشهر شعبان.
07	نعوذ بالله	حذف جملة فعلية	نعوذ بالله من شرور أنفسنا ونعوذ بالله من سيئات أعمالنا.

تعددت أنواع الحذف في نص الخطبة بين حذف اسمي مثل: حذف لفظة "أشهر" في: إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً، منها أربعة أشهر حرم ثلاثة أشهر متوالية وشهر رجب مضر الذي بين جمادى وشهر شعبان، وحذف فعلى مثل: حذف لفظة "خلق" في: يوم خلق الله السموات وخلق الأرض، وحذف جملة نحو: حذف جملة "حقكم على نسائكم" في: فلا يوطئن فرشكم غيركم وحقكم على نسائكم لا يدخلن أحداً تكرهونه بيوتكم، وحقكم على نسائكم لا يأتين بفاحشة، ويشير هذا التعدد في الخطبة إلى اختلاف الوظيفة النحوية للمحذوف، بحيث حقق الحذف علاقة بين الكلام المحذوف والمقدر، كما أن العديد من الجمل أو العبارات سواء المتقاربة أو المتباعدة ترابطت وتماسكت مع بعضها البعض شكلياً ودلالياً من خلال الحذف الذي حقق علاقة مرجعية بينه وبين المذكور المتمثل في الدليل المقالي المتواجد ضمن الخطبة، والحامل لمعناه، بمعنى أنه وجد التكرار بين المعاني والملفوظات الظاهرة على سطح النص وبين المحذوف المقدر، فتحقق التماسك بين المتكررات.

أ- رصد النسب المئوية لعنصر الحذف من خلال استعماله في خطبة حجة الوداع:

نوع الحذف	عدد استعماله	نسبة استعماله %
حذف اسمي	5	%29.41
حذف فعلى	2	%11.76

جملة اسمية	8	%47.05
جملة فعلية	2	%11.76

ب- تحليل وتفسير النتائج الخاصة بالحذف:

من خلال إحصاء النسب المئوية لعنصر الحذف يتّضح أن حذف الجملة الاسمية هو الذي حضي بنسبة استعمال أكثر من حذف الجملة الفعلية، فقد حصل بنسبة (47.05%)، في حين بلغت نسبة حذف الجملة الفعلية (11.76%)، أما ما يليها نجد الحذف الاسمي تكرّر بنسبة (29.41%)، وفي الأخير الحذف الفعلي بنسبة (11.76%)، ويمكن تأويل ذلك بأنّ كثرة النداء تستوجب حذف الأسماء والاكتفاء بذكر قرائن دالة عليها، تجنباً لتكرار غير مرغوب فيه في نُصح وتوجيه وإرشاد السامعين وجلب انتباههم، فبمجرد ذكر الأسماء أو النداءات توحي لصاحبه أنّ السامعين أصبحوا مدركين لوظيفة كل نداء يتبعه الحذف الفعلي الذي وإن دلّ على شيء إنما يدل على جملة النصائح الموجهة من طرف النبي ﷺ في هذه الخطبة: من جانب، وعلى استعمال أسلوب النداء في هذه الخطبة، بينما قلّ استعمال الحذف الفعلي والجملة الفعلية ولأنّ حذف الجمل يبعث في نفس السامعين خوفاً من خطأ التأويل خصوصاً في خطاب نبوي إرشادي كهذا.

لأننا كما نعلم أن الحذف هو الاكتفاء بالمعنى العدمي أو استبدال من درجة الصفر فهو معادلة تقتضي من السامعين حلّها.

وقد لعِب الحذف في الخُطبة دوراً فعالاً في تحقيق التماسك النصي بين جملها المتقاربة والمتباعدة، بحيث نجد العديد من الجمل ترابطت وتماسكت من خلاله، بحيث تعدد الحذف إلى اسمي فعلى

وجملي، وحقق علاقة بين الكلام المذكور ضمن النص والكلام المحذوف المقدّر، بمعنى أنه وجد تكرار بين الكلام الظاهر والمحذوف الذي حقق التماسك.

5.4- الاستبدال:

إن الاستبدال يساهم في التماسك والاتساق النصي بشكل مباشر، وينظر إليه النحويون على أنه إحلال عنصر لغوي بعنصر لغوي آخر، فهو عبارة عن إحالة يكون فيها المستبدل محيلا والمستبدل منه المحال إليه، فإذا وقع في متوالية نصية فإنهما يقعان بعلاقة استبدال نحوية بعضهما ببعض.

ومن خلال دراستنا خُطبة حجة الوداع لعنصر الاستبدال من أدوات الاتساق لا نلمس حقيقته الفعلية في ظاهرة الخطبة، بل نلاحظ غيابه الكلي، وبالرغم من هذا أن الخطبة جاءت مترابطة الفقرات منسجمة العبارات بفضل بقية أدوات الاتساق الأخرى.

المطلب الثاني: وسائل الانسجام في خُطبة حجة الوداع:

الانسجام ويعني العلاقات التي تربط معاني الجمل في النص، وهذه الروابط تعتمد على المتحدثين (السياق المحيط بهم)، فهو إذن يتصل برصد وسائل الاستمرار الدلالي في عالم النص أو العمل على إيجاد الترابط المفهومي، أي أنه يهتم بالروابط الدلالية المتحققة في عالم النص بخلاف الاتساق الذي يهتم بالروابط الشكلية المتجسّدة في ظاهر النص.

ومن أهم الآليات التي يتميز بها الانسجام نجد السياق، والذي سنبرز دوره في انسجام الخُطبة ومدى فعاليته فيها.

2.4- السياق من خلال خُطبة حجة الوداع:

لقد كانت خُطبة حجة الوداع التي تخلّلت شعائر الحج لقاء بين أمة ورسولها كان لقاء توجيه ووداع؛ توصية رسول الله ﷺ لأمته لخّص فيها أحكام دينهم ومقاصده الأساسية في كلمات جامعة مانعة خاطب بها صحابته والأجيال من بعدهم بل خاطب البشرية عامة بعدما أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة في أمر دينها ودنياها، وما أروعها من ساعة تلك التي اجتمع فيها من أرسله الله رحمة للعالمين مع الجموع المؤلفة الخاشعين متضرعين بآذان صاغية لكلمات الوداع وكلمات من لا ينطق عن الهوى، كلمات تجد صداها عند كل من يستمع لها لأنها تخرج من القلب إلى القلب.

لقد ألقاها رسول الله ﷺ في خُطبة حجة الوداع يوم عرفة وجبل الرّحمة، وقد نزّل فيه الوحي مبشرا له، قال تعالى " الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عليكم نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلامَ دِينًا".

وقد كانت هذه الخطبة خلاصة عامة جامعة شاملة لمهام الدين، وأسس التعامل، فمن خلالها يمكن حصر أهم خصائص السياق، بما له من فاعلية في إضاءة النص الخطابي وسبر أغواره وتفسير خطابه، وسنحاول أن نبرز فيه أهم الخصائص ووظائف السياق المتعلقة به والتي ظهرت جليا في خُطبة حجة الوداع ذات الأبعاد الرباعية:

أ. **المرسل: (وظيفة تعبيرية)**: من خلال أن الرسول ﷺ وجّه كلامه إلى المتلقين والقرَّاء (المرسل إليه).

ب. **المرسل إليه: (وظيفة إفهاميه)**: وهو جماعة من السّامعين لخطاب المرسل (الرسول ﷺ)، بحيث تكون الوظيفة إفهاميه؛ أي استيعاب ما ألقاه المرسل على مستمعه من ارشاد وتوجيه (المرسل إليه).

ج. **القناة:** وقد بدت الخُطبة منطوقة، لأنها ذات وظيفة انتباهيه.

د. **السياق:** يعتبر السياق الخطابي الديني من الجوانب الارشادية التوجيهية الاصلاحية؛ والذي تضمنه النص (الخُطبة).

1.2.4- مناسبة فاتحة الخُطبة لخاتمتها:

قد تلتقي مقدّمة الخُطبة مع خاتمتها، ففي التمهيد جاء النبي ﷺ يخاطب بها المستمعين أي لجلب انتباههم وتركيزهم معه.

أمّا التعقيب فيعود فيه بيان خُطبة حجة الوداع بعدما أتمَّ سرد نصائحه وإرشاداته وتوجيهاته وتحذيراته لهم، وذلك بقبولهم لما سمعه، مثال: أيها الناس: إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام، وقد نهى المسلمين عن اختلاس وسرقة بعضهم لبعض، كما حذّرهم من الظلم، مثل في قوله تعالى " لَا

تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ "، كما استوصاهم في النساء وبيّن حقوقهن، ونحو ذلك: أيها الناس اتقوا الله في النساء...، وإنّ لكم على نسائكم حقا.

وهكذا نجد من خلال هذا التمهيد والتعقيب للخُطبة أنها جاءت كدعوة وتوصية من النبي ﷺ للمسلمين وفي نفس الوقت كوداع لهم، وعنوان الخطبة لم يكن هكذا إلا وقد تضمن وداع الرسول ﷺ لعباد الله حاملاً معه رسالة، قد تُوَجِّه الضّالين وتُرشِدهم. كما ساهم هذا السياق لما فيه من مناسبة في انسجام الخطبة وتحقيق تناغم كبير في أجزائها بربط العنوان بما يتضمنه من معنى.

3.4- العلاقات الدلالية:

للعلاقات الدلالية المبينة في الخُطبة الأثر الأكبر في عملية الانسجام الخطابي (النص الخطابي) من خلال تحقيق مبدأ الاستمرارية الدلالية. وهذه الظواهر الدلالية منتشرة على مساحة نصية مختلفة يمارس بعضها وظيفة التماسك الدلالي، وسوف نتناول أنواع العلاقات الدلالية المتعلقة بها:

1.3.4- الإجمال والتفصيل:

من علاقات الإجمال والتفصيل التي تتضمنها الخُطبة نجد الإجمال في:

- الإجمال:

- أيها الناس! إنَّ دِمَاءَكم وأموالكم عليكم حرام.

- التفصيل:

- لكم رؤوس أموالكم لا تُظْلمُون ولا تَظْلِمون.

- أن كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأنّ أول دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وكان مسترضعا في بني ليث فقتله هذيل فهو أول ما بدأ به دماء الجاهلية.

- نلاحظ أن الرسول ﷺ أجمل دماء الناس وأموالهم بصفة الحرام، ثم جاء بتفصيل لهذا المجمل في: ولكن لكم رؤوس أموالكم تُظْلمُون ولا تَظْلِمون، كل دم كان في الجاهلية موضوع، وأنَّ أوَّل دمائكم أضع دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب... فهو أول ما بدأ به دماء الجاهلية.

- أيضا الاجمال في:

- عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا.

- وتفصيله:

- منها أربعة حرم ثلاثة متوالية، ورجب مضر، الذي بين جُمادى وشعبان.

- ورد في الخُطبة أن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرًا، وهذا المجمل كان تفصيله: "منها أربعة حرم ثلاثة متوالية، ورجب مضر، الذي هو بين جُمادى وشعبان"، وهنا فصل الرسول ﷺ أنَّ الله ﷻ خلق السماوات والأرض وجعل من الشهور اثنا عشر شهرا.

- الإجمال في:

- أيها الناس! اتقوا الله في النساء.

- وتفصيله:

- استوصوا بالنساء خيرا، إنهنَّ عندكم عوان.

ورد في الجمل: اتقوا الله في النساء، وكان تفصيله: استوصوا بالنساء خيراً، إنهنَّ عندكم عوان.

فالرسول ﷺ يوصي الرجال بالنساء، وتقوى الله فيهن والرفقة بِهنَّ، ويفصّل كلامه كون النساء عواناً لا يملكن لأنفسهن شيئا، ويذكر بأن يتصرف الرجال معهن بتصرف معاكس في حالة ما إن يأتين بفاحشة مبينة، كذلك يوصيهم برزقهن إن أطعنهم...

- الإجمال:
  - قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً.
- وتفصيله:
  - أمراً بينًا، كتاب الله وسنة نبيّه.
  - فقد كان هنا الإجمال في قول رسول الله ﷺ: قد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبداً.

مفصلا بذلك : أمراً بيناً، كتاب الله وسنة نبيّه.

ومجمل قول الرسول ﷺ جاء ليبرئ نفسه أمام الله أنّه قد ترك لهم ما ينور طريقهم ويبعدهم عن الضلال، وقد فصّل ذلك من خلال قوله: أمراً بينًا؛ أي أنّ كلامه واضح في كتاب الله (القرآن) المَنَزَّل وسنة نبيِّه ﷺ (الأحاديث النبوية).

- ومن خلال هذه النماذج تتضِّح لنا وظيفة الإجمال والتفصيل في الخُطبة كغرض تفسيري توضيحي من المرسل ذاته، حتى يخرج المتلقي من دائرة التأويل والافتراض المنطقي والاحتمال

الدلالي، وكذلك تتأكد وظيفته من خلال الرّبط المتماسك للنص وانسجامه من خلال الرّبط المنطقي بين عبارات التفصيل و الإجمال.

2.3.4- العموم والخصوص:

من علاقة العموم والخصوص نجد أن العنوان:

خُطبة حجة الوداع أن النبي ﷺ يُخاطب فيها الناس، أما التخصيص فقد ورد في ثنايا الخُطبة، حيث وظّف فيها النبي ﷺ كلمات منتمية إلى خُطبة حجة الوداع منها:

قضية النساء: أيها الناس! اتقوا الله في النساء فإنكم إن أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمات الله، واستوصوا بالنساء خيرا، فإنهن عندكم عوان لا يملكن لأنفسهّن شيئا إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهّن في المضاجع واضربوهّن ضربا غير مبرح...إلخ.

قضية الربا: أيها الناس! إن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمُون وقضى الله أنه لا ربا. وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب.

فالنبي ﷺ ينهى الناس عن سفك دماء المسلمين بعضهم لبعض، وقبل هذا يحذرهم من الظُّلم فيما بينهم بالابتعاد عن الغش في معاملتهم المالية والتجارية وتجنب الاختلاس ونقص الميزان وما شابه هذا لأنها أمور منهي عنها شرعاً وحرّمها الله وهو ما ذكره في قوله تعالى: " وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُواْ عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ "[1].

[1] سورة المطففين: 1.2.3.

4.4- التناص:

تهدف الدراسات المتصلة أن لكل نص تناص تتمثل فيه النصوص الأخرى على مستويات مختلفة سواء من القرآن الكريم أو من غيره، فالنبي ﷺ اعتمد في خطبته على القرآن الكريم.

ومن الجمل التي احتوت على التناص في الخطبة ما يلي:

1. "الحمد لله" نجد ما يقابلها في القرآن الكريم في قوله تعالى "الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ"[1].

وقوله أيضا "الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا"[2].

أن النبي ﷺ بدأ بحمد الله أي الثناء الحسن على الله بأوصاف الكمال والحمد الجزيل والشكر التام أوله وآخره لله، فهو المحمود على كل حال، فرحمته فضل وعذابه عدل، وهو الرب الذي خلق ورزق.

2. "أيها الناس! إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام"، وهو ما نجده في القرآن الكريم في قوله تعالى: "يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عليمٌ خَبِيرٌ"[3].

أن النبي ﷺ في خطبته يحذر المؤمنين أن بعض أزواجكم وبعض أولادكم أعداء لكم يشغلونكم عن الطاعات وقد يوقعونكم في الحرمات ويثبطونكم عن الواجبات فخذوا حذركم منهم وقدموا مراد الله على مرادهم.

---

[1] سورة الفاتحة: 01.

[2] سورة الكهف: 01.

[3] سورة الحجرات: 13.

3. إن ربا الجاهلية موضوع ولكن لكم رؤوس أموالكم لا تَظلِمون ولا تُظلَمُون وقضى الله أنه لا ربا. وإن أول ربا أبدأ به ربا عمي العباس...، وهو ما ذكره الله تعالى في كتابه العزيز في قوله تعالى: "الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا "[1]، وفي قوله أيضا: "يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ"[2].

نجد أن الرسول ﷺ يبيّن لنا أن أَكَلَةُ الربا حين يبعثون في قبورهم للحساب يخرجون كالمصروع من مسِّ الجان وتلبس الشيطان تضطرب حركاتهم وتختل مشيتهم، فالله ﷻ يذهب بركة الربا ويجعل عاقبته التلف وخسارة في المال والنفس لأنه بُنِيَ على حرام، وبالمقابل ينمي الله الصدقة ويبارك فيها، فالربا في الظّاهر زيادة ولكنه هو نقصان وفي هذه الخُطبة يحذرنا النبي ﷺ من الربا لأنه مضر وأحل لنا البيع لأن له فائدة.

4. "إن عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم"، ويقابلها في القرآن الكريم قوله تعالى: "إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ"[3].

يبيّن النبي ﷺ أن عدد شهور السنة في علم الله وتقديره ﷻ اثنا عشر شهرا محدّدة لا تزيد ولا تنقص، منها أربعة أشهر معظّمة يحرم فيها القتال، وهي: ذو القعدة، ذو الحجة، محرم، رجب، وهذا التقسيم من الله للشهور هو شرع مستقيم ومنهج قويم فاحذروا أن تظلموا أنفسكم فيها بالقتال.

[1] سورة البقرة: 275.
[2] سورة البقرة: 276.
[3] سورة التوبة، الآية: 36.

5. "لا يملكن لأنفسهن شيئا إلا أن يأتين بفاحشة مبينة فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضربا غير مبرح"، وهو ما نجده في القرآن الكريم في قوله تعالى: "...لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ..."[1].

وفي قوله أيضا: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ... "[2].

يوضّح النبي ﷺ في خطبته قضية النساء حيث أنه لا يحل للنساء أن يخرجن من بيوتهن إلا إذا ارتكبن معصية كبيرة كالزنا، وتلك الأحكام لله في كتابه وسنته، فإذا أوشكت النساء المطلقات على اكتمال العدّة فراجعوهن مع جميل العشرة الزوجية واتفاق بالحسن أو فارقوهن مع إعطائهن حقوقهن بلا نقص، ولا يجوز لكم أيها الأزواج أن تمنعوا المرأة بعد طلاقها بزواج آخر إلا أن تأتي المرأة بفاحشة واضحة فإنه يجوز للرجل أن يضيق عليها، وأن يعزّرها ويؤدّبها حتى تفتدي ببعض مالها.

5.4- المستوى التداولي:

من مظاهر وأنواع المستوى التداولي التي تظهر في النص (الخُطبة):

1.5.4- النداء:

والمتمثل في: يا أيها الناس!، والتي أدّت دوراً مهماً في لفت انتباه السامعين وتفاعلهم تجاه الخُطبة.

[1] سورة الطلاق، الآية: 01.

[2] سورة النساء، الآية: 19.

2.5.4- الأمر:

وقد ورد في المواقع التالية:

أيها الناس! اتّقوا الله في نسائكم، واستوصوا بالنّساء خيراً، فاهجروهن في المضاجع واضربوهن، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف.

فاعقلوا أيها الناس قولي، ألا فاعبدوا ربكم، وصلوا خمسكم، وصوموا شهركم، وأدوا زكاة أموالكم...، وأطيعوا أولات أمركم.

اسمعوا قولي واعقلوه...، فلا تظلمن أنفسكم...، فلا ترجعن بعدي كفاراً.

وقد كانت غاية هاته الأدوات الإرشاد والتوجيه لذلك كثر الأمر، والتذكير.

3.5.4- القصدية:

من خلال مراعاة الحالة النفسية للسّامعين، فهم في حالة تسمح لهم بالإنصات والاستجابة لنصائحه وتوجيهاته ﷺ، فهم بصدد فريضة الحج، هذا ما استدعى مراعاة المقام.

4.5.4- أدوات التأكيد والتكرار والتنبيه:

وتظهر في:

"إن دماءكم وأموالكم عليكم حرام"، فهو بذلك يقوم بعملية تأكيد للأداة (إنَّ)، فالرسول ﷺ يؤكد أن دماء الناس وأموالهم عليهم حرام إلى أن يلقوا ربهم ويؤدوا فريضة الله (الحج).

وبهذا ساهمت هذه الأداة (إنَّ) في عملية التوكيد التي حقّقت انسجام الجملة.

"وإنّ كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمي موضوع"، "وإنّ ربا الجاهلية موضوع"، وأن أول ربا أبدأ به ربا عمي العبّاس"، "وأن كل دم كان في الجاهلية موضوع"...، فقد أدّت وظيفة التوكيد هنا أن كل شيء من أمر الجاهلية كان مكتوباً وسابقاً ومقدّراً من الله تعالى يسير بأمره، هذا مما لا شك فيه، وهذا التوكيد قد حقّق تناغم وانسجام في كلام الرسول ﷺ.

"إنّ الشيطان قد يئس من أن يعبد بأرضكم هذه أبداً... فاحذرو على دينكم". وبهذه الجملة يؤكّد الرسول ﷺ أن الشيطان لم يجد ضالته في المؤمنين ولم يعد قادراً على إعادة الضّلال في دروبهم، كما أضاف إلى تأكيده تحذيراً منه وخوفاً على دينهم منه.

"إنّما النسيّ زيادة في الكفر"، فرسول الله يؤكد أن النسيّ بمعنى تأخير حرمة المحرم إلى صفر أيام الجاهلية لزيادة في الكفر، فهو بذلك يحذّر المؤمنين على الوقوع فيه.

"إنّ الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض"، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً..."

فالرّسول يواصل عملية التوكيد بغية توضيح وتوكيد الأمور على حقيقتها للناس، وهذا غاية في تنوير طريقهم من الوقوع في الخطأ والكفر والضلال، وفي هذه الجملة بالذات يوضّح لهم كيف خلق الله الكون ويوضّح لهم الظواهر العلمية للكون.

"فإنّكم إنّما أخذتموهن بأمانة الله" والرّسول يوصي عباده بالنّساء والرّأفة بهن، فقد خدمت الجملة الأداة التوكيدية (إنَّكُمْ) وأكّدت السياق الذي يدعو إلى الرأفة بالنساء وخوف الله فيهن والتعامل معهن بالمعروف.

"أيّها الناس! إنّه لا نبيّ بعدي" فعملية التوكيد ظهرت حلياً في (إنَّ) والغاية ظاهرة أنه لا يوجد رسول بعد رسول الله محمد ﷺ من دون شك.

"إنّ كل مسلم أخ المسلم، وأنّ المسلمين إخوة" يؤكد الرّسول ﷺ أن المسلمين كلُّهم إخوة في الله وهذا التوكيد يستدعي الترابط والتآخي ما بين المؤمنين والمسلمين وتجنّب البغضاء والعداوة فيما بينهم.

"إنّ ربّكم واحد، وإنّ أباءكم واحد": يؤكد بأن الألوهية لله وحده، فلا أحد يشاركه في ربانيته، ولا أحد يشارك الآباء في الأبوّة.

"كلُّكم لآدم وآدم من تراب": فقد أدّت "كلُّكم" وظيفة التأكيد على أن جميع الناس من أصل واحد ولأبٍ واحد (آدم) وكلّهم من تراب.

"إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم": وبهذا يوضّح النبي ﷺ بل يؤكّد لهم تقوى الله، وقد ساهمت الأداة "إنَّ" في توضيح وتوكيد هذا المعنى، كما تكرّرت كثيراً في هذا السياق.

"فإنّي قد بلّغت... وقد تركت": ظهرت الأداة "قد" في هذا السياق غاية في التنبيه بتكرارها مرتين، وقد ساهمت في توكيد الرّسول ﷺ على تبليغه للمسلمين وتوصيل الرّسالة كاملة وافية ترشدهم وتصلحهم لملاقاة ربّهم أنقياء من المعاصي وتنورهم من الضلال الذي عايشوه في الجاهلية.

وقد ساهمت كل هذه الأدوات في انسجام الخطبة وتماسكها من خلال التوكيد بـ: "إنَّ"، "كلّكم"، "أنَّ"، "إنّما"، "قد"، "فقد"... وكما ساهم التكرار والتنبيه في إيصال هدف النبي ﷺ، كما أحدثَت تناغما شديداً للخطبة، فحقّق بهذا الصّدد انسجاماً واضحاً.

المطلب الثالث: نتائج الدراسة:

من خلال الدراسة التطبيقية لخُطبة حجّة الوداع توصلنا إلى النتائج التالية:

1.3.4- بالنسبة لأدوات الاتساق:

1- غلبة الإحالة النصّية على الإحالة المقامية.

2- كثرة الإحالة النصّية القبلية على الإحالة النصّية البعدية.

3- حقّقت الإحالة النصّية البعدية التماسك النصّي للخُطبة.

4- بروز الوصل الإضافي في خُطبة حجّة الوداع بنسبة كبيرة عن بقية الأنواع الأخرى.

5- شمول الخُطبة على أنواع التكرار الأربعة، ونخص بالذّكر التكرار الإسمي.

6- تعدد أنوع الحذف في نصّ الخُطبة، فقد ورد حذف الجملة الاسمية بنسبة أكبر من الجملة الفعلية.

7- غياب آلية الاستبدال بصفة كلّية في ظاهر الخُطبة.

2.3.4- بالنسبة لوسائل الانسجام:

1- أهم خصائص السياق التي ظهرت جليا في الخُطبة: المرسل، المرسل إلية، القناة والسياق.

2- انسجام الخُطبة في مقدمتها مع الخاتمة ومضمون ما تنصّ عليه.

3- تحقّق مبدأ الاستمرارية الدلالية من خلال العلاقات الدلالية.

4- للإجمال والتفصيل أثر كبيراً في عملية تفسير الخطاب وتوضيحه والرّبط المنطقي بين عباراته.

5- وُظِّف التناص في نصّ الخُطبة لإبراز مدى مصداقية كلام النبي ﷺ.

6- من مظاهر وأنواع المستوى التداولي التي تظهر في نصّ الخُطبة نذكر: النداء، الأمر، القصديّة، أدوات التأكيد والتكرار والتنبيه.

7- ساهمت مظاهر المستوى التداولي في انسجام الخُطبة، وتماسك فقراتها في تبليغ دعوة النبي ﷺ.

الخاتمة

الخاتمة

لقد شرفنا بأن نجعل بحثنا في رحاب خطبة حجة الوداع للنبي ﷺ وما كان لنا أن نقدم على هذه الخطوة لولا التوفيق من الله ﷻ.

ولعلّنا نكون قد قدّمنا ما يفسّر للباحثين نتائج تدعوهم إلى توسيع البحث في مجال علم اللّغة النصّي "ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقَه مِنْهُ"، وقد أوصلنا البحث في مظاهر الاتساق والانسجام لخُطبة حجّة الوداع تنظيراً وتطبيقاً إلى جملة من النتائج والملخصة في:

- اجماع الدراسات رغم تباينها في تقديم تعريف للنص بضرورة توفّره على خاصية الترابط والتماسك الشكلي والدلالي.
- أن الاتساق يؤدي دوره في تماسك النص من خلال عدّة مظاهر وهي: الإحالة والاستبدال والحذف والوصل والاتساق المعجمي الذي يشتمل على علاقتي التكرار.
- تمثل الاحالة وسيلة من وسائل التماسك الدلالي للخُطبة؛ فهي وجوب تطابق العلاقات الدلالية بين العبارات المذكورة في الخُطبة وعبارات أخرى مذكورة في أجزاء أخرى منها.
- تنقسم الاحالة إلى قسمين أساسيين هما: إحالة مقامية وسياقية، وأخرى نصّية مقاليه، وإذا كانت نصّية فإنّها تشير تارةً إلى شيء مذكور سابقًا إحالة قبلية، وتارةً أخرى تشير إلى شيء سيذكر لاحقًا "إحالة بعدية".
- تقوم الإحالة بدور فعّال من الناحية الجمالية تّجاه القارئ أو المستمع؛ وذلك لأنّها تعتبر وسيلة من وسائل التماسك الدلالي الذي يجذب القارئ أو المستمع ويحثّه على مواصلة القراءة أو الاستماع.
- يسهم الحذف في تماسك النص عند وجود الدليل عليه حيث نستطيع ربط البنية السطحية بالبنية العميقة، وقد بدا ذلك بصورة واضحة في الخُطبة.
- أما الربط (الوصل) فهو يحافظ على تتابع الجمل في الخُطبة إمّا بالجمع أو الاختيار.

- إن أدوات الاتساق ما هي إلاّ الخطوة الأولى للدّخول إلى الانسجام النصّي.
- الانسجام هو كلام متناسق وسليم له قدرة على التأثير في القارئ أو المتلقي ويرتكز على مجموعة من الآليات وهي: السياق، العلاقات الدلالية، التّناص، والمستوى التداولي.
- علاقة الاجمال والتفصيل حيث أسهمت في إضفاء مسحة جمالية على الخُطبة كما أسهمت في ربط المعاني بعضها ببعض، كذلك تكثيف البنية الدلالية للخُطبة، كما تشغل هذه العلاقة الدلالية حيّزًا كبيرًا من الخُطبة؛ إذْ تعمل على توضيح ما غمض من معانيها، وتتأكد وظيفتها من خلال تلاحم العناصر المتباعدة للخُطبة وضمان ارتباطها ببعضها عن طريق استمرارية دلالة معينة في اللاّحقة منها.
- خُطبة حجّة الوداع خُطبة متناسقة ومترابطة الأجزاء رغم معالجتها لعدّة نظم تشريعية.
- أن ترتيب الخطب جاء في قمّة التماسك الحديثي، وفي روعة التصوير الفنّي وذروة التسلسل الفكري.

وفي الأخير لا يسعنا إلاّ أن نشير بأنّ هذا الموضوع يمكن التوسُّع فيه أكثر ممّا تم ذكره، إذْ أنّ هناك بعض المظاهر يمكن أن تكون بحثاً مستقلاً بذاته. كما يبقى بحثنا بإيجابياته وسلبياته عرضة للنقد والتصحيح وهو على الأقل في نظرنا محاولة استهدفت خُطبة حجّة الوداع، ذلك ما استطاع بحثنا هذا الوصول إليه ولو بالقليل، وهو عبارة عن محاولة تحتاج إلى ما يدعمها ويثريها ويغنيها من البحوث الأخرى؛ ويبقى أملنا كبير أن ينال بحثنا هذا ولو قسطاً من التوفيق. وأن يساعد في بناء صرح البحث العلمي.

ولا ندّعي في ذلك كمالاً لأن الكمال حلُم، والكمال لله ﷻ على قول الحديث "من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد ولم يصب فله أجرُ الاجتهاد"، ويكفينا نحن أجر المحاولة والبحث والاجتهاد الحمد والشّكر لله العلي القدير على إتمام هذه الدراسة ونسأله ﷻ أن يرزق قارئها الانتفاع والنّفع بها

قائمة المصادر

والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم.**

1) إبراهيم أنيس وعبد الحليم وآخرون: المعجم الوسيط، دار الأمواج، بيروت، ط2، 1990م.

2) أحمد إبراهيم خليل: في اللسانيات ونحو النص، دار المسيرة للنشر والتوزيع، ط1، 2007م.

3) أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط2، 1998م.

4) أحمد مختار عمر: علم الدلالة، عالم الكتاب، القاهرة، ط5، 1998م.

5) ازوالد ديكرو وجان ماري سشايفر: القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت– لبنان والدار البيضاء، المغرب، ط2، 2007م.

6) إليا الحاوي: فن الخطابة وتطوّرها عند العرب، دار الثقافة، بيروت، ط 2، ج 1، (د.ت)،.

7) آن ماري ديبر وفرانسوا ريكاناتي: المقاربة التداولية إلى اللغة، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت– لبنان، (د.ط)، 1989م.

8) عبد الباقي محمد فؤاد: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار الجيل، بيروت، (د.ط).

9) بحيري سعيد حسن: علم لغة النص(المفاهيم والاتجاهات)، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، ط1، 2004م

10) بديع الزمان الهمذاني "أبو الفضل احمد بن الحسيم ": المقامات، قدم له وشرح غوامضه الإمام محمد عبده، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2003م.

11) بروان ويول: تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطني ومنير التركي، جامعة الملك سعود، الرياض المملكة العربية السعودية، (د.ط)، (د.ت).

12) البهنساوي حسام: أنظمة الربط في العربية، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2003م.

13) تون فان دايك: علم النص مدخل متداخل الاختصاصات، ترجمة: سعيد حسن بحيري، دار القاهرة للكتاب، القاهرة- مصر، ط1، 2001م.

14) ثروندايك: النص، بناؤه ووظائفه، ترجمة: جورج أبي صالح، مجلة العرب والفكر العالمي، بيروت- لبنان، العدد 5، 1989م.

15) الجاحظ عمرو بن بحر: الحيوان، المجمع العربي الإسلامي، بيروت، ط3، 1969م.

16) جليل رشيد فالح: خطبة حجة الوداع دراسة بلاغية تحليلية، مجلة آداب الرافدين، 13، 27-2007-01م، 09-01 -1428هـ.

17) جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري ابن منظور: لسان العرب، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط 1، 1424هـ - 2003م.

18) جميل عبد المجيد: أ- البديع بين البلاغة واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، (د.ط)، 1998م.

ب- بلاغة النص، دار غريب، القاهرة، (د.ط)، 1999م.

19) جوليا كريستيفيا: علم النص، تر: فؤاد الزاهي، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط2، 2001م.

20) حامد الشريف: فن المرافعة أمام المحاكم الجنائية، دار الفكر الجامعي، الإسكندرية، (د.ط)، 2004م.

21) حمداوي جميل: السيميوطيقا والعنونة، عالم الفكر، الكويت، المجلد:25، العدد3، 1997م.

22) راتب قاسم عاشور: أساليب تدرس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، دار الميسرة للنشر والتوزيع، ط 1، 1424 هـ، 2003م.

23) رازيال: مختار الصحاح، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1999م.

24) رولان بارت: لذة النص، تر: فؤاد صفاء الحسين سحبان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء- المغرب، ط2،2001م.

25) رومان جاكبسون، وهاريس هالة: أساسيات اللغة، تر: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، أبو ظبي، ط1، 2008م.

26) الزناد الأزهر: نسيج النص، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء- المغرب، 1993م.

27) الزيات أحمد حسن: أ- تاريخ الأدب العربي، مطبعة النهضة، القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

ب- تاريخ العرب، دار المعرفة، بيروت، ط 1، 1428هـ،2007م.

28) سعيد بن علي ثابت: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ دراسة تحليلية لنماذج خطب الرسول ﷺ، كلية الدعوة والإعلام، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامي، الرياض، (د.ط)، 1416هـ.

29) سعيد بن علي ثابت: الجوانب الإعلامية في خطب الرسول ﷺ، المملكة العربية السعودية، ط1، 1417هـ.

30) سيبويه (أبو البشر عمر بن عثمان): تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج1، ط3، 1998م.

31) السيوطى جمال الدين: معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق علي محمد النجاوي، مصر، دار الفكر العرب، (د.ط)، 1973م.

32) شبلي جليل عبد الجليل: الخطيب و إعداد الخطيب، دار الشروق، بيروت، ج 1، ط 1، 1968م.

33) صلاح فضل: بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، (د.ط)، 1990م.

34) ضيف شوقي: أ- الفن ومذاهبه في النثر العربي، (د. ط)، (د. ت).

ب- تاريخ الأدب العربي، دار المعارف، ج2، ط6، (د.ت).

35) عفيفي أحمد: نحو النص (اتجاه جديد في الدرس النحوي)، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ط1، 2001م.

36) علي بوملجم: في الأسلوب الأدبي، دار ومكتبة الهلال، بيروت- لبنان، الطبعة الأخيرة، 1421 هـ، 2000م.

37) أبو غزالة إلهام: علي خليل حمد: مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت دي بوجراند وولف ريسلر، الهيئة المصرية العامة، ط2 ، 1999م.

38) عبد الغني بارة: إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (د.ط) ، 2005م.

39) الفقي صبحي إبراهيم: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، دار قباء، القاهرة، ط1، ج1، (د.ت).

40) المباركفوري صفي الرحمان: الرحيق المختوم، دار الإمام مالك، ط1، 1426هـ،2005م.

41) مباركي جمال: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، رابطة إبداع الثقافة، الجزائر، (د.ط)، (د.ت).

42) مداس أحمد: لسانيات النص نحو منهج التحليل الخطاب الشعري، عالم الكتب الحديثة، الأردن، ط1،2007م.

43) الفيروز آبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب): القاموس المحيط، ضبط وتوثيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1999م، مادة (س ج م).

44) كثير ابن الكثير: السيرة النبوية، دار المعرفة، ج2، بيروت، (د.ط)، 1406هـ.

45) الركيني عبد الله: تطور النثر الجزائري الحديث، دار الكتاب العربي، القاهرة، (د.ط)، 1974م.

46) مرتاض عبد المالك: نظرية النص الأدبي، دار هومة، الجزائر، (د.ط)، 2007م.

47) الشاوش محمد: أصول تحليل الخطاب وعلم النص في النظرية النحوية العربية، ج1.

48) درويش محمد الطاهر: الخطبة في صدر الإسلام، دار المعارف، مصر، ج1، ط1، 1981م.

49) محمد بوزواوى: معجم مصطلحات الأدب، الدار الوطنية للكتاب، (د. ط)، 2009م.

50) النابلسي محمد راتب: السيرة –الشمائل المحمدية–، الدرس العاشر، (فصاحة النبي ﷺ)، (د.دار)، (د.ط) 2010م.

51) محمد صبار عبد: القصيدة العربية الحديثة بين البنية الدلالية والبنية الإيقاعية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د.ط)، 2001م.

52) محمد عبد الغني حسن: الخطيب و المواعظ، دار المعارف، مصر، ط 1، 1119 هـ.

53) محمد فكري الجزائري: لسانيات الاختلاف الخصائص الجمالية لمستويات بناء النص في شعر الحداثة، إيتراك للطباعة والنشر، مصر الجديدة، ط1، 2001م.

54) مكتبي نذير محمد: خصائص الخطبة و الخطيب: دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط 3، 2001 م.

55) نصر حامد أبو زيد: إشكالية القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء– المغرب، 2005م.

56) نواري سعودي أبو زيد: نحو مقاربة أسلوبية في الخطاب الشعري، الجزائر، ط1، 2009 م.

57) هشام ابن الأنصاري: معي اللبيب عن كتب الأعاريب، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، (د.ط)، 1996م.

58) هشام ابن هشام: السيرة النبوية، دار الجيل، بيروت، (د.ط)، 1975م.

المجلات:

1) نورة جبلي: السياق والأسلوب (دراسة في الشعر العربي القديم) مجلة اللسانيات واللغة العربية، جامعة باجي مختار، عنابة، ع1، جوان2006م.

2) مرتاض عبد المالك: في نظرية النص، مجلة المجاهد، فصول الهيئة المصرية العامة، م10، ع6، 2006م.

3) لحمادي فطومة: مفهوم التماسك النصي، مجلة اللغة والأدب، جامعة خيضر، بسكرة، ع1، جوان2007م.

4) الحاج صالح عبد الرحمان: مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد 14، السنة 7، (د.ط)، 1433هـ-2011م.

فہرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

العنوان	رقم الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-ج
المدخل: من لسانيات الجملة إلى لسانيات النص	
تمهيد	09
1- الجملة والنص	10
1.1- الجملة	10
1.1.1- مفهومها	10
2.1.1- أنواعها	10
2.1- النص	12
1.2.1- مفهومه	12
2.2.1- خصائصه (المعايير النصية)	14
2- لسانيات النص	16
1.2- مفهومها	16
2.2- هدفها	16
3- الفرق بين لسانيات الجملة ولسانيات النص	18
الفصل الأول: الاتساق والانسجام: مفهومهما وآلياتهما	
تمهيد	21
المطلب الأول: الاتساق	21
1-مفهومه	21
1.1- لغة	21
2.1- اصطلاحا	22
2- آليات الاتساق	23
1.2- الإحالة	23
1.1.2- مفهومها	23

2.1.2-أقسام الإحالة	23
3.1.2- الوسائل الإحالية	25
1.3.1.2- إحالة شخصية "ضميرية"	25
2.3.1.2- أسماء الإشارة	26
3.3.1.2- إحالة مقارنة	26
4.3.1.2- إحالة الاسم الموصول	27
مخطط توضيحي لأقسام الإحالة	27
4.1.2- المدى الإحالي	28
2.2- الاستبدال	29
3.2- الحذف	30
4.2- الوصل	31
5.2- الاتساق المعجمي	33
خلاصة	34
المطلب الثاني: الانسجام	35
1- مفهومه	35
1.1- لغة	35
2.1- اصطلاحا	35
2- آليات الانسجام	36
1.2- السياق	36
2.2- المعرفة الخلفية	38
3.2- التأويل المحلي	38
4.2- التغريض	39
5.2- ترتيب الخطاب	39
6.2- موضوع الخطاب (البنية الكلية)	40
7.2- العلاقات الدلالية	41

8.2- التناص	42
9.2- المستوى التداولي	42
خلاصة	43
الفصل الثاني: الخُطبة نشأتها وتطورها	
المطلب الأول: تعريفها ونشأتها وعوامل رقيها	45
1- تعريفها	45
1.1- لغة	45
2.1- اصطلاحا	46
2- نشأتها وعوامل رقيها	48
1.2- نشأتها	48
2.2- عوامل رقيها	49
1.2.2- الحرية	49
2.2.2- طموح الأمة إلى حياة أرقى	49
3.2.2- الأمية وسرعة البديهة	50
4.2.2- الأحداث السياسية والدينية والاجتماعية	51
5.2.2- الحروب والثورات	51
6.2.2- الأحزاب السياسية	52
3.2- تطور الخطابة العربية	52
المطلب الثاني: عناصرها وخصائصها وأنواعها	54
1- عناصرها	54
1.1- المقدمة	54
1.1.1- تعريفها	54
2.1.1- أهميتها	54
3.1.1- مميزات أسلوب المقدمة	55
2.1- العرض	56

1.2.1- تعريفه	56
2.2.1- شروط جودته	57
3.1- الخاتمة	57
1.3.1- تعريفها	57
2.3.1- شروط جودتها	58
2-خصائص الأسلوب الخطابي	58
1.2-الإطناب	58
2.2-الوضوح	58
3.2-إثارة الشعور	59
4.2-الموسيقى	59
5.2-القياس المضمر	59
6.2-التدليل	59
7.2-التفنيد	59
3-أنواع الخطب	59
1.3-الخطابة السياسية	59
1.1.3-تعريفها	59
2.1.3-خصائص أسلوبها	60
2.3-الخطابة القضائية	60
1.2.3-تعريفها	60
2.2.3-غايتها	61
3.3-الخطابة الحفلية	61
1.3.3-تعريفها	61
2.3.3- خصائصها	61
4.3- الخطابة الحربية	62
1.4.3- تعريفها	62

2.4.3- موضوعها وخصائصها	62
5.3- الخطابة الدينية	62
1.5.3- تعريفها	62
2.5.3- أسباب إخفاقها	63
3.5.3- كيفية النهوض بها	63
الفصل الثالث: خطابة النبي ﷺ	
المطلب الأول: سيرة النبي ﷺ	67
1-ملخص سيرة النبي ﷺ	67
المطلب الثاني: فصاحته وخطبه ﷺ	71
1-فصاحة النبي ﷺ	71
2- نماذج من خطبه ﷺ	72
1.2- خطبة الصفا	72
2.2- خطبة أول جمعة	72
3.2- خطبة يوم النحر	74
4.2- نموذج من خطب الغزوات	75
المطلب الثالث: تحليل خطبة حجة الوداع وخصائصها الفنية والموضوعية	76
1- خطبة حجة الوداع	76
2- تحليل خطبة حجة الوداع	78
3- الخصائص الموضوعية والفنية	82
1.3- الخصائص الموضوعية	82
2.3-الخصائص الفنية	83
الفصل الرابع: أدوات الاتساق ووسائل الانسجام في خطبة حجة الوداع	
المطلب الأول: أدوات الاتساق في خطبة حجة الوداع	87
1- الإحالة	87
2-الوصل (الربط)	94

3- التكرار	100
4- الحذف	103
5- الاستبدال	107
المطلب الثاني: وسائل الانسجام في خطبة حجة الوداع	108
1-السياق	108
1.1-المناسبة	109
2-العلاقات الدلالية	110
1.2-الإجمال والتفصيل	110
2.2-العموم والخصوص	113
3-التناص	114
4-المستوى التداولي	116
1.4-النداء	116
2.4-الأمر	117
3.4-القصدية	117
4.4-أدوات التأكيد والتكرار والتنبيه	117
المطلب الثالث: نتائج الدراسة	120
الخاتمة	د-ه
قائمة المصادر والمراجع	و-ل
فهرس الموضوعات	م-ص

تم بحمد الله